الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حمه لخضر– الوادي–
كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم العلوم الانسانية

أشعرية ابن تومرت: بين النزعة المذهبية و السيادة السياسية القرن 6هـ /12 م.

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في شعبة: التاريخ تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الطالبتين:
باسي مروة
غندير سناء

إشراف الأستاذ:
د. غرايسة عمار

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الدرجة العلمية	الصفة
د.أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر ـ أ ـ	رئيسا
د.عمار غرايسة	أستاذ محاضر ـ أ ـ	مشرفا ومقررا
د.علال بن عمر	أستاذ محاضر ـ أ ـ	مناقشا

نوقشت وأجيزت بتاريخ: . . . .

السنة الجامعية 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات..

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذا الإنجاز العلمي المتواضع..

الحمد لله الذي رزقنا بأستاذ كان لنا بمنزلة الوالد..

تحية طيبة إلى من تكرم بقبول الإشراف علينا رغم العوائق والعقبات..

إلى من لم يبخل علينا بتوجهاته القيمة .. ولا بوقته الثمين..

إلى من أنار لنا طريق البحث العلمي..

الأستاذ المحترم والمتواضع أمام سعة علمه

"..عمار غرايسة.."

فله منا كامل الشكر والتقدير والاحترام والامتنان..

كما نشمل بوافر شكرنا كل الأستاذة

الذي رافقونا خلال مشوارنا الدراسي ووجهونا بمختلف النصائح..

والشكر موصول- أيضا - للأساتذة الكرام " أعضاء لجنة المناقشة.."

الذين لهم الفضل في تزكية وتطهير هذه الرسالة..

ولا نغفل من ثنائنا كل من ساعدنا في هذا البحث ولو بكلمة طيبة..

الإهـــداء

الحمد لله وحده الذي كرم عبده و اصطفاه و جعل منه في الارض خليفة فبفضله جعلني أتم و أحقق هدفي و به أهدي ثمرة جهدي .

- إلى أسمى رموز الحياة و رمز الحنان و العطاء ماما الغالية .
- الى من رباني و اوصلني الى المعالي بابا الغالي .
- الى رفيق دربي و سندي زوجي الغالي .
- الى فلذات اكبادي: هيام ، ايهم ، ريهام
- الى اخوتي الاعزاء و أختي الوحيدة.
- الى من شاركتني هذا العمل سناء غندير.

مـــروة

اهداء

اهدي ثمرة هذا البحث

الى النور الذي رافقني في كل محطات حياتي

على اختلاف بصمتها والدي العزيزين

ادام الله عليهما الصحة و العافية

والى السواعد التي مهدت وسهلت لي درب الدراسة

اخوتي الذين حرسوا على نجاحي كانه نجاحهم .

و الى رفيقات دربي في مشواري الدراسي ،

مروة ، نجوى ، سارة

سنـــــــاء

الملخص بالعربية:

تتناول هذه الدراسة احدى الدعوات المغاربية الفريدة من نوعها و التي احدثت اثرا كبيرا على بلاد المغرب الاسلامي لكونها شكلت له منعطفا سياسيا و عقائديا ، فقد اسس منظر هذه الدعوة بن تومرت لدعوته الأشعرية التي كانت خليطا من الافكار التي استخلصها خلال رحلته العلمية ، فتراوحت دعوته التي حملت لواء الاصلاح لعقيدة دولة المرابطين بين توظيفها دينيا في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و استغلالها سياسيا للإطاحة بدولة المرابطين و التأسيس للدولة التي أرادها ان تكون مجسدا لأفكاره و ناشرا لعقيدته ومنهاجه وهي دولة الموحدين .

الملخص بالفرنسية:

Cette étude traite l'un des appels maghrébins uniques dans sans genre qui a eu un grand impact sur le pays du Maghreb islamique parce qu'il a constitué pour lui un tournant politique et idéologique, Les bases de cet appel a été établi par Ibn Tumart pour son appel Ash'ari, qui était un mélange d'idées qu'il a extraites au cours de son voyage scientifique ,Son appel qui portait la bannière de la réforme de la doctrine de l'État almoravide, allait de l'utiliser religieusement pour ordonner le bien et interdire le mal et l'exploiter pol
itiquement pour renverser l'État almoravide et établir l'état qu'il voulait être une incarnation de ses idées et un diffuseur de sa foi et sa méthode, qui est l'état des Almohades.

فهرس المحتويات

أشعرية ابن تومرت : بين النزعة المذهبية و السيادة السياسية	الصفحة
تشكرات	–
إهداءات	
ملخص الدراسة	
فهرس المحتويات	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ . و
مدخل :واقع بلاد المغرب قبل ظهور ابن تومرت	14 . 08
❖ الفصل الأول: ترجمة لحياة ابن تومرت	30 . 16
○ المبحث الأول: التعريف بابن تومرت	23 . 16
▪ المطلب الأول: نسبه ومولده	16
▪ المطلب الثاني: كنيته واسرته	19
▪ المطلب الثالث: صفاته ومميزاته	20
○ المبحث الثاني: رحلته في طلب العلم وانتاجه الفكري	30 . 23
▪ المطلب الأول: محطات الذهاب	23
▪ المطلب الثاني: لقاء ابن تومرت بالغزالي	26
▪ المطلب الثالث: عودته من المشرق وانتاجه الفكري	27
❖ الفصل الثاني: أشعرية ابن تومرت	50 . 32

○ المبحث الأول: الأشعرية مفاهيم ودلالات	42 . 32
▪ المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية	32
▪ المطلب الثاني: مفهوم العقيدة الأشعرية	35
▪ المطلب الثالث: أفكار وعقائد الأشعرية	38
○ المبحث الثاني: أسس واثار العقيدة الأشعرية لابن تومرت	50 . 42
▪ المطلب الأول: أسس العقيدة الأشعرية لابن تومرت	42
▪ المطلب الثاني: ظهور دعوة ابن تومرت	46
▪ المطلب الثالث : الأثر الديني لعقيدة ابن تومرت	48
❖ الفصل الثالث: دولة ابن تومرت الأشعرية	72 . 52
○ المبحث الأول: الدعوة السياسية وتنظيماتها	59 . 52
▪ المطلب الأول: استغلال الدعوة لتأسيس الدولة	52
▪ المطلب الثاني: إعداد التنظيمات لاستلام السلطة	56
○ المبحث الثاني: تمام الدعوة وقيام الدولة	71 . 59
▪ المطلب الأول: عبد المؤمن الكومي خليفة لابن تومرت	59
▪ المطلب الثاني: سيادة الدولة واخضاع بلاد المغرب	64
▪ الخاتمة	75 . 73
▪ المراجع	82 . 77
▪ الملاحق	94 . 84

الرمز	المقصود به
ج	جزء
د ط	دون طبعة
تح	حقيق
د د ن	دون دار نشر
د ت	دون تاريخ
د م	دون مكان
هـ	هجري
ط	طبعة
ت	توفي
م	ميلادي
ق	قرن
ص	صفحة
ص ص	أكثر من صفحه
تر	ترجمة
مج	مجلد

المقدمة

المتتبع والدارس لتاريخ المغرب الإسلامي الذي شهد عدة تغيرات سياسية كان لعامل الدين فيها أثر كبير ورهان حقيقي في ظهور العديد من الدول المستقلة على اراضيه و التي تبدأ جلها كدعوة دينية و فكرية روحية على يد دعاة فقهاء، ثم تأخذ طابعا سياسيا لظهور نظام جديد و من بين هذه الحركات حركة محمد بن تومرت الذي دعى إلى التوحيد و التي كانت في بدايتها حركة إصلاحية، وأخذت جانب العمل السياسي لتغيير نظام الحكم المرابطي و ذلك بالطعن في عقيدتهم، و اتهامهم بالخروج عن الدين سبيلا لقيام دولته التي اسماها دولة الموحدين هذه الدولة التي قامت على أساس دعوي متمثل في حركة مذهبية لبناء دولة جديدة بمشروع دعوي مختلف عما سبقه في بلاد المغرب الإسلامي، فكان مشروع ابن تومرت سياسي قائم على أساس مذهبي لم يشذ عن القاعدة التي كان متعارف عليها في بناء الدولة المغاربية آنذاك، وذلك لتبنيها معتقد إسلامي جديد مختلف متمثل في العقيدة الأشعرية.

فقد عرفت هذه الدعوة بتشكيلها العقدي الغريب والمضطرب حيث اعتمد ابن تومرت على منطلقات معينة تعتبر أسسا فكرية لدعوته بعدما تأثر بالكثير من الفرق والمذاهب الإسلامية في الاعتقاد والمنهج، حتى يضمن نجاح مشروعه الدعوي و السياسي ومن بعدها اضحت هاته الاسس متحكما في مفاصل الدولة وعمادها الذي تقوم عليه.

ومن هنا جاء موضوع مذكرتنا الموسوم بـ: **أشعرية بن تومرت بين النزعة المذهبية والسيادة السياسية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي.**

دوافع اختيار الموضوع :

ان اهم دوافع اختيارنا لهذا الموضوع يمكن اجمالها في النقاط التالية:

– الرغبة في التعرف على الاهداف الخفية التي سعى لها بن تومرت وراء نشر العقيدة الاشعرية.

– محاولة اثراء المكتبة الجامعية بجانب من جوانب تاريخ الاشعرية بالمغرب الاسلامي.

اشكالية الموضوع:

ان الاهتمام بالتجربة التومرتية بشقيها السياسي و الديني خصوصا بعد ادراك للأهمية العلاقة بين الدين و الدولة و دورهما في بناء الدول في المغرب الاسلامي، هاته العلاقة التي تجسدت بكل معطياتها في الدور الذي لعبه ابن تومرت في دعوته لإقامة دولته فالإشكالية المطروحة في هذا الموضوع تتمحور حول **كيفية توظيف بن تومرت عقيدته الاشعرية والانتقال بها من نزعة مذهبية الى سيادة سياسية ؟**

ومن اجل مناقشة هاته الاشكالية سنطرح عدة تساؤلات اهمها:

- من هي هاته الشخصية التي استطاعت الوقوف في وجه المرابطين؟
- ما هي اشعرية بن تومرت التي اسس لها و حاجج بها فقهاء المرابطين؟
- وكيف استطاع بن تومرت الانتقال من الدعوة الى الدولة وضمان سيرورتها من بعده؟

المنهج المتبع :

حاولنا في معالجتنا لهذا الموضوع اعتمادا على المنهج الوصفي والتحليلي فاعتمدنا على المنهج الوصفي في التعريف بشخصية بن تومرت و المنهج التحليلي الذي تعاملنا فيه بالتحليل على القدر الذي سمحت لنا به الامكانيات المصدرية والذي كان يحتاج لتحليل اراء المؤرخين والدارسين و ذلك بحسب مقتضى ما يتطلبه الاطار المسموح به.

صعوبات الموضوع:

بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا لإعداد هذا العمل تمثلت في يتعلق بالموضوع في حد ذاته ومنها ما تعلق بالمادة العلمية وتتمثل في:

– تشعب الموضوع باعتباره يعالج قضية عقدية كلامية شائكة.

– باعتبار ان الموضوع يعالج قضية عقدية كان فهمه يحتاج الى ارضية عقائدية فقهية بالدرجة الاولى تمكننا من الانطلاق بشكل سليم في معالجة الموضوع في سياقه التاريخي.

– تضارب العديد من الآراء التاريخية مما يصعب علينا الوصول الى الحقيقة.

الهدف من الدراسة:

كان الهدف من هاته المذكرة، هو إثراء المادة العلمية في هذا المجال التاريخي ومحاولة الوصول إلى الحقائق التاريخية حول هذه الشخصية الفذة، والتي أخذت منعطفا تاريخيا في التاريخ الإسلامي في تلك الفترة و القاء الضوء على دعوته المذهبية التي كانت مختلفة أيما اختلاف عن غيرها من الحركات المذهبية الاخرى، حيث انها جاءت خليطا مضطربا وغير متجانس جمع فيها بين أسس عقائدية متناقضة، لعبت فيه الدعوة التومرتية دورا فعال في تأسيس الدولة الموحدية وانتشار المذهب الاشعري بالمغرب الاسلامي.

الدراسات السابقة:

اذا تأملنا مجموع الدراسات التي انجزت حول ابن تومرت بإمكاننا إبراز عدة معايير لتصنيفها الى عدة انواع، اما من خلال تصنيف الدارسين الى عدة فئات، بحسب موقفهم من ابن تومرت، اما محايدة او معادية لمذهب ابن تومرت ودعوته، اما موالية لابن تومرت واما اذا اعتمدنا المعيار التاريخي فيمكن تقسيمها الى نوعين، دراسات قديمة تلك التي انجزها المؤرخون المعاصرون لابن تومرت وخلفاؤه، او بعد سقوط الموحدين، و النوع الثاني هو الدراسات الحديثة التي اكتشفت ابن تومرت من خلال مؤلفاته .

اما المعايير الاخرى التي اعتمدناها في دراسة ابن تومرت فهي بصفة عامة معايير منهجية اعتمدت على طبيعة الحقول المعرفية التي ينتمي اليها ما بين دراسات تاريخية ركزت على الانجازات العسكرية و السياسية للموحدين كدولة و كإمبراطورية او الدراسات التي ركزت على الجانب العقدي و الفقهي في دعوة ابن تومرت أو دراسات فلسفية بحتة تمحورت حول اراء بن تومرت في مسألة من المسائل الكلامية او الفلسفية.

اما من بين المصادر نذكر:

1- ما كتبه ابن تومرت (524 هـ- 1129 م) من رسائل شرحا لأفكاره، ونقدا للمجتمع المرابطي ونظامه السياسي، جمعها تحت عنوان **أعز ما يطلب**، وهو عبارة عن مجموع من إملاءات ابن تومرت تتضمن مجموع التعاليق والمختصرات والموضوعات

والرسائل التي كانت موضوع أسس دعوة المهدي؛ تفرعت عنه مواضيع مختلفة في الفقه، والحديث، والأصول، والتوحيد، والسياسة، والجهاد، والدعوة إلى الإصلاح والحث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- كتاب أخبار المهدي ابن تومرت لأبي بكر علي الصنهاجي المعروف بالبيذق الذي عاش في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي وهو من أتباع المهدي و مؤيديه و المتأثرين به، و صاحب هذا الكتاب عمل على رصد كل ما قام به ابن تومرت و في ذلك إشارة هامة لظروف قيام الدولة الموحدية و الأسس الثقافية التي بنيت عليها .

3- نظم الجمان في أخبار الزمان لأبي الحسن بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان (ت 628 هـ – 1230 م)، و على الرغم من انحيازه الواضح للخلفاء الموحدين، و إقراره للعديد من مواقفهم إلا أنه احتوى على معلومات هامة أوردها في مصنفه، كان قد عاصرها.

4- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي (توفي في النصف الثاني من القرن 07 –13م)، و يعد هذا المصدر من أهم مصادر الدولة الموحدية، لأن صاحبه عاش في كنف الدولة الموحدية و عاصر كل من أحداثها و هذا ما يزيد من مصداقية ما يرويه و قد أعاننا الكتاب في العديد من جوانب الدراسة.

5-البيان المعرب في أخبار الأندلس و المغرب لأبي العباس احمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712 هـ – 1312 م) و يعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي و قد استفدت كثيرا من الجزء المخصص لتاريخ الدولة الموحدية و الذي يتحدث فيه بتفصيل وافي عن جوانب مختلفة لهذه الدولة و هو ما ساعدني في الحصول أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الدولة الموحدية.

اما بالنسبة لاهم المراجع المعتمدة فنذكر:

1-اطروحة الاستاذ عبد المجيد النجار لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان " المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية و الاجتماعية واثره بالمغرب " طبعة دار المغرب الاسلامي بيروت، لبنان، وهي دراسة قيمة جدا اثنى فيها الاستاذ النجار على

مجهودات بن تومرت الاصلاحية، و قد استفدنا كثيرا من معالجته العلمية و استشهاده المكثف بالمصادر و المراجع العلمية.

2- و كذلك كتابه تجربة الاصلاح ذلك المرجع القيم الي قام بدراسة شخصية بن تومرت و تجربته الاصلاحية دراسة مستوفية.

- وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع الاخرى التي هي موضحة في ثنايا هذا العمل. للموضوع ان نعتمد على الخطة التالية المؤلفة من مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة.

- **المقدمة:** وجاء فيها بيان للأهمية الموضوع وطرح اشكاليته واسباب اختياره وكل هذا ذو صلة بذلك.

- **المدخل:** حاولنا من خلاله التعرض **لواقع بلاد المغرب قبيل ظهور بن تومرت** في الفترة التي سبقت ظهور دعوته، في شتى الميادين الثقافية و العقدية و الاجتماعية.

- **الفصل الاول:** تطرقنا فيه الى مبحثين فسردنا في **المبحث الاول ترجمة لحياة بن تومرت** و في **المبحث الثاني عرجنا على رحلاته العلمية وانتاجه الفكري.**

- **الفصل الثاني:** والذي من خلاله تمت دراسة أشعرية بن تومرت من خلال القاء نظرة في **المبحث الاول على مفاهيم العقيدة و الاشعرية** و **في المبحث الثاني ركزنا على اسس العقيدة التومرتية وظهور دعوته و اثرها الديني.**

- **الفصل الثالث:** تناولنا بالدراسة دولة بن تومرت الاشعرية من خلال **ابراز الدعوة السياسية وتنظيماتها و تمام قيام الدولة في ختام الفصل.**

-**الخاتمة:** جاءت لعرض أهم ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة كإجابة على ما ورد من تساؤلات، فضلا عن تضمن العمل لمجموعة من الملاحق التي رأيتها وظيفية و هادفة و مثرية للدراسة، في الأخير ثبت الموضوع بأهم المصادر و المراجع المعتمدة ثم اتبعناه بفهرس محتويات العمل.

وفي الاخير نرجوا من الله تعالى ان يوفقنا فيما قدمناه من محاولة في معالجة الموضوع الاشعرية لابن تومرت، وان كان هناك توفيق فمن الله وان كان هناك نقص او تقصير فتلك اصل العمل الانساني.

مـدخـل

واقع بلاد المغرب قبيل ظهور ابن تومرت

حينما نتصفح التاريخ الاسلامي للمغرب بأمجاده ومآسيه نعثر في طياته السياسية والدينية على محاولات اصلاحية قامت بمناطق مختلفة من أقطاره تهدف الى تلافي الفساد الذي يطأ على سياسة الدول[1]، حيث تعددت عوامل قيام هاته التجارب و تنوعت مشاربها الثقافية مشكلة بنية حضارية متينة بقيت معالمها الى يومنا هذا، ومن بين هذه التجارب الإصلاحية التي ظهرت في بلاد المغرب و التي اثمرت دولة اسماها مؤسسها و داعيتها الاول محمد بن تومرت بدولة الموحدين لتتجلى لنا دولة من اعظم الدول في التاريخ الاسلامي مطلع القرن 12م /6هـ[2] و التي شكلت حلقة متينة و لبنة أساسية كان لها دور جوهري في تغيير الوجه العام للمغرب بتمكنها من لم شمله واستعادة هيبته على الصعيد المحلي و الاقليمي وعلى المستويين السياسي و الحضاري، غير ان قيام محمد بن تومرت بحركته الاصلاحية و من ثم تأسيس دولته لم يكن محض صدفة و وانما هو نتاج ظروف المت بالمغرب الاسلامي تمخضت إلى ميلاد الدولة بكامل وزنها التاريخي.

الـوضـع الاجتمـاعـي:

لقد وحدت دولة المرابطين دول الغرب الاسلامي توحيدا سياسيا قوامه الفقه المالكي لم تكن له ابعاد اجتماعية مرضية للغاية الدينية للعدل ومكارم الاخلاق[3] حيث شمل مجتمعين على طرفي نقيض فقد كان المجتمع الاندلسي مجتمعا حضريا بينما كان المجتمع المغربي مجتمعا تغلب عليه البداوة وبتوحد القطرين و اجتماع العدوتين تحت لواء المرابطين نشأ بينهما مزيج اضفى الى تفشي المظهر الحضاري بالمدن الكبرى و على رأسها عاصمة الدولة مراكش.

[1] محمد الامين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، جزأن، (اطروحة دكتوراه دولة منشورة)، اشرف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص 415.

[2] عبد المجيد النجار، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)**، منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، 1995، ص 39.

[3] نفسه، ص 39.

فبقدر ما اكسب التحضر الاندلسي المدن المغربية بهرجة و رقي بقدر ما تسربت اليها ظاهرة التميع وانواع الفسوق، و لم يمنع ما يتمتع به حكام الدولة المرابطية من ورع وتقي من تفشي المظاهر المشينة من الأمراض الاخلاقية الاجتماعية.[1]

ويلخص الاستاذ عبد الله العروي ذلك الفساد الاجتماعي في عدة نقاط منها:

- التناقض الاجتماعي الذي عرفه المجتمع المغربي بين الخاصة و العامة.

- صعود اعضاء الاسر الحاكمة الى واجهة المسرح وكثرة الدسائس حولهم.

- شدة التباين بين المرابطين السادة، و بين باقي أعضاء المجتمع الذين كانوا محل ازدراء و احتقار، اذ يورد الاستاذ عبد الله العروي مثالا في ذلك في التمييز الذي فرضه المرابطين على الاندلسيين في اللباس، اذ منعوهم من لبس اللثام رمز الاقلية المحاربة.[2]

وقد ساهمت تركيبة الدولة المرابطية وكانت مسببا واضحا الى ما الت اليه الاحوال من تردي و ذلك من خلال تعاظم سلطة الفقهاء، والتي اكتسبت و استأثرت الى جانب الوجاهة وافر المكاسب والاموال وفي وصف هاته الفكرة في تمكن وسيطرة الفقهاء على مقاليد الحكم يقول المراكشي " وكان لا يقطع امرا في جميع مملكته، دون مشاورة الفقهاء، فكان اذ ولي احدا من قضاته .... الا بمحضر اربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في ايامه مبلغا عظيما ... ولم يزل الفقهاء على ذلك، وامور الناس راجعة اليهم، واحكامهم موقوفة عليهم فعظم أمر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس اليهم فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم ..."[3] وربما بلغ بعض الفقهاء من الترف مبلغا كبيرا كما يدل عليه وصف السلاوي لدار تطاول في بناءها احدهم.[4]

---

[1] عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983، ص 58.

[2] العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 289.

[3] المراكشي عبد الواحد بن علي ، **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: السعيد العريان ومحمد العلمي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ط1، القاهرة، مصر، 1963، ص 121.

[4] السلاوي أبو العباس أحمد الناصري شهاب الدين، **الاستقصاء بأخبار المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ج1، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص 143.

اضف الى ذلك وفي نفس السياق اكد المراكشي والاستاذ العروي اختلال احوال المرابطين كاستيلاء اكابر المرابطين على البلاد وظهور المناكر في بلاد الأمير. فضلا على استيلاء النساء على احوال الدولة، واستند تأليبهن الأمور حيث اصبح تدبير للأمور في جو متعفن تصنع فيه القرارات في المجالس المشبوهة، باشراك السفهاء من القوم، حيث صوره المراكشي بقوله" صارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل و صاحب خمر و ماخور"[1]، وقد يكون بروفنسال صحيحا في محاولته تفسير هذه الظاهرة في كون للنساء في مجتمع لمتونة الصحراوي منزلة حرصن على ان يحتفظن بها في بلاط المرابطين، و اتاحت لهن حرية الحياة النسبية التي يفقدنها عند رحيلهن عن الصحراء التدخل بشغف في شؤون الدولة و التمتع بالسلطة، و الكلمة المسموعة من الازواج والابناء.[2]

الوضـــع السياسي:

كان المغرب الاسلامي يعيش فوضى سياسية بالغة وصفها ابن عذارى بقوله " وكان اهل المغرب يتولون بلادهم الى ان تغلب كل شخص منهم على موضعه كما فعل ملوك الطوائف بالأندلس "[3]، حيث شابهت ما وصل اليه المغرب الاندلس تمزقا وانقساما[4]، وعصفت به شتى النزاعات القبلية و المذهبية والخلافات الاقليمية و الشخصية[5]، و كانت هذه الفوضى تتغذى بانحراف عقدي يصح بحق وصفه بالردة على المد الاسلامي الذي شمل المغرب في القرنين الاول و الثاني للهجرة[6]، و كانت الروح الاسلامية على درجة من القوة جراء المحنة السياسية التي المت بالمغرب اوائل القرن الخامس الهجري حيث امكن لهاته الروح من مواجهة التحدي و القيام بردة فعل ازاء الوضع المتأزم اذ تمثل ذلك ببزوغ

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 241.
[2] ليفي بروفنسال، **الاسلام في المغرب و الاندلس**، تر: السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح حلمي، مطبعة نهضة، الاسكندرية، مصر، 1990، ص 251.
[3] ابن عذارى ابو العباس احمد بن محمد المراكشي ، **البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**، تح : هويسي ميرندا، مكتبة صادر، بيروت، 1950، ص 86.
[4] ابن الخطيب ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني لسان الدين ، **أعمال الاعلام**، تح: احمد مختار العبادي و اخرون، دار الكتاب، ج5، الدار البيضاء، المغرب، 1961، ص 139.
[5] أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت، ص 17.
[6] عبد المجيد النجار، **حركة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المرجع السابق، ص 44.

اولى بوادر الاصلاح على يد دولة المرابطين سنة 448هـ _1156 ذات الصبغة الدينية باعتبار ان واضع اسسها الروحية عالم داعية وفقيه هو عبد الله ابن ياسين الجازولي[1]، وهو ما صوره ابن الخطيب بقوله " شاع في المدينة خروج اللمتونيين في الصحراء واستيلائهم على المغرب، وانها دعوة مبنية على دين متين وتأسيس بفقه، وانه اسلام جديد، و صرفت اليه الوجوه "[2]، و قد كان لهذه الدولة الفتية السبق في توحيد المغرب الاسلامي سياسيا وعقديا و المتمثلة:

ـ **اولا:** نزعة الجهاد والتي كانت قوام سياستهم، والمتمثلة بالأخص بجهاد النصارى بالأندلس وهو ما عبر عنه ابن العربي بقوله " المرابطون قاموا بدعوة الحق و نصرة الدين، وهم حماة المسلمين الذابون والمجاهدون دونهم، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة، ولا تقدم ولا وسيلة الا واقعة الزلاقة[3] ..... لكان ذلك من أعظم فخرهم ".[4]

ـ **ثانيا:** سلطة الفقهاء ومكانتهم في الدولة وهو الاساس والهدف الذي قامت عليه الدولة فتلك النزعة الفقهية المالكية التي كان يتصف مؤسس الدولة وداعيتها ابن ياسين، تركت اثرها على سائر ملوك المرابطين حيث " غلب هذا الميل على الدولة، ومن ثم كان تقديمها للفقهاء واختصاصها بهم دون من عداهم من ارباب المعارف المتنوعة، برغم ما صار اليهم من جيوش العلماء والفلاسفة من جراء فتح الاندلس وضمها الى الايالة المغربية "[5]، و يذكر يذكر بن عذرى أن يوسف بن تاشفين كان يفضل الفقهاء، ويعظم العلماء، ويصرف الامور اليهم، ويأخذ فيها برأيهم ويقضي على نفسه بفتياهم "[6]. اما علي بن يوسف فقد اشتد ايثاره لأهل الفقه والدين حتى لا يقطع امرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ".[7]

---

[1] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 46.
[2] ـ ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص 243.
[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 193.
[4] ابن الخطيب ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني لسان الدين ،**رقم الحلل في نظم الدول**، مطبعة التقدم الاسلامية، ط1، تونس، 1929، ص 105.
[5] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الادب العربي**، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1961، ص 68.
[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 66، ينظر فيها، كاتب أندلسي، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: د. سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 1978، ص 59،ينظر: و ابن ابي زرع علي بن عبد الله ، تر: حياة المهدي، **الانيس المطروب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المعلم الحاج أحمد بن المعلم الحاج الطيب الأزرق، المغرب، 1972، ص 94.
[7] المراكشي، المصدر السابق، ص 235.

ان المكانة التي حظيت بها فئة الفقهاء دون سواهم في سياسة دولة المرابطين، كانت في مبدأها امرا طبيعيا حيث تخول طبيعة العلم الذي يحمله هؤلاء ان يتبوؤوا مكانة الاستشارة في شؤون الدولة المختلفة، اذ الفقه يتناول بالبيان كل شؤون الحياة بما في ذلك السياسة فيما يعرف بالسياسة الشرعية، ويمكن ان نضيف عاملا ظرفيا مساعدا هو كون الفقهاء كانوا مناوئين للملوك في الاندلس، متزعمين للأغلب الثورات الشعبية فلما دخل يوسف بن تاشفين الاندلس اعتبر المنقذ من ملوك الطوائف، و اعربوا له عن ولائهم الشديد، وقدموا له خدماتهم الكبيرة فصادف ذلك في نفسه نزعة الاكبار للفقهاء، فقدمهم، و اشركهم في شؤون الحكم وانتقل هذا المعنى من الاندلس الى العاصمة مراكش، واصبح طابعا للدولة[1].

إن الحظوة التي بلغها الفقهاء بالسلطة، بما نتج عنها من التجاوز في نطاق المشورة من حدود الاختصاص الى ما وراءه ادى الى اغوار صدور العامة ضد دولة المرابطين وفقهائها مما اوجد مجالا خصبا للدعوات المناوؤة لها والمطالبة بتغيرها.

الوضـــع العقائدي:

لم يبلغ المغرب ما بلغه المشرق من صخب و لجاحة جراء كثرة المذاهب و ولم تكن ارضه مسرحا نشطا لما وفد اليها من مذاهب ومعتقدات متعددة من المشرق بيد انها لم تدم و ألت الى الزوال ولم يكن لها تأثير يذكر في العقيدة العامة للامة المغربية، وما تلقاه المغاربة هي عقيدة السلف و مذهب بن مالك[2] ويبدو ان هذا الوضع العقدي قد ركزه في بلاد المغرب وعمقه في نفوسهم تلك التوجيهات الصادرة عن متبوعهم في الفقه مالك بن انس، وهي التي تجمعه كلمته المشهورة " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعه "[3] و توطت هاته المعتقدات باعتلاء المرابطين للسلطة اذ أصبح لها سند سياسي ومن السمات التي طبع بها المجال العقائدي ابان دولة المرابطين من مجموع الانتقادات التي وجهها ابن تومرت لهم، و التي تتمثل بصفة خاصة في مستوى الانحراف في مجال التصور العقدي وفي مستوى المنهج الذي تفهم به الشريعة.

[1] بروفنسال، المرجع السابق، ص 248.
[2] عبد المجيد النجار، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، مرجع سابق، ص 50-51.
[3] نفسه ، ص 53 – 54.

فقد حاول فقهاء المرابطين إلزام الناس على العمل بفروع مذهب مالك و وصل بهم الحال إلى العمل بمقتضاها و نبذ غيرها، أي منع بقية المذاهب السنية الأخرى[1]، وافتقار حركة الحوا التي يحدثها كثرة المذاهب واحتكاكها ببعضها البعض مما أدى هذا الى الجمود الفكري و الانغلاق على الفقه المالكي و ايثار كتب الفروع المؤلفة في المذهب بعد مالك والاكتفاء بها عن اصولها من اثار مالك نفسه بل الرجوع الى اصولها من نصوص القران والحديث ، فساد بذلك منهج شرعي يقوم على التقليد باعتماد الاقوال و التفريعات التي اثرت على إتباع مالك[2] ولم يكن الفكر العقدي بأحسن حال من الفكر الشرعي بل متأثرا به بالاكتفاء بالصور التي اثرت عن السلف اقرارا للنصوص عن ظاهرها على نحو اقره مالك بن انس لذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام واهله واعتباره بدعة في الدين وقد وصف لنا المراكشي الوضع بقوله " و دان اهل ذاك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علم الكلام، وقرر الفقهاء عند امير المسلمين تقبيح علم الكلام و كراهة السلف له، و هجرهم من ظهر عليه شيء منه و انه بدعة في الدين ....."[3] و كذا تخلي بعض الفقهاء عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و انغماسهم في الملذات و الشهوات و جمع الثروات[4] و هذا ما أدى إلى ظهور السفور و اختلاط النساء بالرجال، بل و حتى تدخل المرأة في السلطة و البيع و الشراء في الأسواق مما جعل الرعية المسلمة تنفر من دولة المرابطين.[5]

وما زاد الوضع تأزما هو أقدام أمير المسلمين علي بن يوسف بعد فتوى أجمع عليها فقهاء قرطبة وعلى رأسهم قاضي قضاتها أبو عبد الله محمد بن حمدين على إحراق كتاب الإحياء للغزالي و أمر بقتل و مصادرة أموال كل من وجد عنده شيء من كتبه و هو الامر الذي جعله بن تومرت سببا في تأليب العامة، فعملت دعوته على استغلال الحقد المتنامي بين اطياف المجتمع و كذا الضعف الذي عرفته حركة المرابطين في اواخر عهدها من جراء التوترات في مختلف المجلات على اعتبارها ابتعدت عن تعاليم الدين الصحيحة

[1] ابن القطان ابو الحسن علي بن محمد الكتابي الفاسي ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح :محمد مكي، دار الغرب الإسلامي ط 2، لبنان، د ت، ص 14.
[2] عبد المجيد النجار، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المرجع السابق، ص 51.
[3] المراكشي، المصدر السابق ص236- 237.
[4] السلاوي، المصدر السابق، ص 74.
[5] عقيلة الغناي، **قيام دولة المرابطين**، جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، ليبيا، 2008، ص 31.

وسادت حياة اللهو والفساد الذي دب في المجتمع وبالتالي أثر بصورة جلية على معالمها الدينية فزاد ذلك من التفاف الناس حول دعوة بن تومرت على ضرورة التخلص من الحكام المرابطين الفاسدين ومن والاهم.[1]

عملت دعوة ابن تومرت على القضاء على حركة المرابطين والتي عرفت في أواخر عهدها العديد من التوترات في مختلف المجالات، على اعتبارها ابتعدت عن تعاليم الدين الصحيحة وسادت حياة اللهو والفساد الذي دب في المجتمع وبالتالي أثر بصورة جلية على معالمها الدينية فمن هنا كانت الضرورة والدفع الأساسي للتخلص منها بأي طريقة[2]، حيث استغلت حقد بعض اطياف المجتمع في المغرب الاسلامي فعمد الى جمع واقناع الكثير بما اؤتي من حجج و براه ين على ضرورة التخلص من الحكام المرابطين الفاسدين.[3]

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 236 - 237.
[2] البيدق أبوبكر بن علي الصنهاجي ، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 2004، ص 73.
[3] مغنية غرادين، **الحركات المناوئة لحكم الموحدين في الأندلس والمغرب**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة تلمسان، الجزائر، 2009-2010، ص 23.

الفصل الأول : ترجمة لحياة ابن تومرت

- **المبحث الأول:** التعريف بابن تومرت.
- **المطلب الأول:** نسبه ومولده .
- **المطلب الثاني:** كنيته وأسرته .
- **المطلب الثالث:** صفاته ومميزاته .
- **المبحث الثاني:** رحلته في طلب العلم وانتاجه الفكري .
- **المطلب الأول:** محطات الذهاب .
- **المطلب الثاني:** لقاء ابن تومرت بالغزالي .
- **المطلب الثالث:** عودته من المشرق وانتاجه الفكري .

لا نكاد نجد في تاريخ المغرب شخصية احتوت من الغموض، والاضطراب والغرابة مثلما نجد في شخصية عبد الله بن تومرت الهرغي[1] السوس[2]، ذلك الرجل نجح في إسقاط حكم المرابطين، وأقام دولة من أعظم الدول في تاريخ الإسلام وتاريخ المغرب كله هي دولة الموحدين.

المبحث الأول: التعريف بابن تومرت

المطلب الأول: نسبه و مولده

هو عبد الله ابن تومرت تذكر لنا المصادر نسبة ابن تومرت إلى بيت النبوة، ولعلى ابن خلدون يعتبر من أبرز المدافعين عن ابن تومرت، حتى أنه يذكر طريقين لنسب ابن تومرت يؤدي كلاهما إلى إثبات النسبة المحمدية فقال: اسمه الحقيقي محمد بن عبد الله المعروف بن تومرت بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحي بن عطاء بن رابح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3].

تأثر ابن خلدون بشخصية ابن تومرت واستماتته في الدّفاع عنه راجع إلى العصر الذي عاشها بن خلدون، إذ كان عصر تخب وفيه دول الإسلام وتكبو، وهي تجعل الهوة سحيقة من الرجوع إلى غابر مجدها، ولعل هذا ما دفع ابن خلدون، إلى تفسير غلبة ابن تومرت لفقهاء البلاط المرابطي بأن الفقهاء قد ملئوا منه حسداً وحفيظة لما كان ينتحل من مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف.[4]

---

[1] **هرغة:** قبيلة مصمودية اسمها البربري أرغن، مساكنها جنوبي واد سوس إلى المشرق من مدينة روادنة، تشتمل على البطون التالية: بني عثمان، بني تامودان، وأران، ينظر: محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القسم الأول، العصر الثالث، ط2، القاهرة، 1990، ص 171.

[2] **بلاد السوس:** منطقة بالمغرب، كانت الروم تسميه قمونية قرب طنجة، وهناك السوس الأقصى والسوس الأدنى بينهما مسيرة شهرين، ويعده بحر الرمال، وورد عند الإدريسي أن بلاد السوس هي تارودانت، وتعرف بلاد السوس بأنها البلاد التي اختيرت للسحرة والمشعوذين وأهلها بربر جفاة خشينون في مظهرهم الخارجي كما في طريقة حياتهم، وهم أساتذة علم التنجيم والقوى الخفية، يأمرون الجن ويكشفون عن الكنوز. ينظر: الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، مج 1، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 65 ،ينظر :حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004، ص 212.

[3] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **تـاريخ ابن خلدون، المسمى العبـر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح :خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، ج 6، لبنان، 2000، ص 301.

[4] نفسه، ص301.

الدارس يرى اختلافاً واضحاً بين المؤرخين في إثبات النسب العلوي ونفيه، ولعل هذا راجع في الأساس إلى غياب المصادر التي تتناول سيرة ابن تومرت بشيء من التفصيل، بل وإن أغلب ما كتب عن حياة هذا المؤسس إنما كتب بعد وفاته، من طرف تلامذته ككتاب أخبار المهدي بن تومرت لصاحبه أبي بكر الصنهاجي المكنّى بالبيذق، وهو أحد تلامذته وهو كتاب ترجع أهميته إلى كون مؤلفه شارك بنفسه في صنع الوقائع التي وصفها، كما ترجع إلى كون الأخبار التي أثبتها فيها من الدقة والتفصيل والسذاجة ما يكشف جوانب غامضة من شخصية ابن تومرت وسلوك أنصاره وحقيقة دعوته [1] الدينية في المغرب.

يذهب الكثير من المؤرخين إلى نفي النسب النبوي عن ابن تومرت، وقالوا بأن ذلك كان يندرج في إطار الضرورة السياسية، التي فرضت على ابن تومرت القول بالنسب النبوي، الذي هو في الحقيقة شرط أساس من شروط المهدوية ذلك أن الأخبار المبشرة بالمهدي تنص على كونه من آل البيت ولذلك كان انتحال النّسب من لوازم المهدوية في الأوائل والأواخر[2]، فكانت الأولى من متطلبات الثانية.

كما أننا نجد من الأدلة الظاهرة والبراهين المتظاهرة ما يدل على النسب البربري أكثر مما يدلنا على العلاقة ببيت النبوة، وأول تلك الإشارات النسبية اسم أبيه وجدّه، فاسم أبيه تومرت بن واجليد فتومرت يعني "الفرح"، وذلك أن أم تومرت لما ولدته فرحت به قائلة " آتومرت آي سكابيوي" ومعنى ذلك يا فرحتي بك يا بني"[3]، واسم جده واجليد ويعني" الزعيم "[4]، وذلك يشير إلى أن ابن تومرت وإن كان بربريا، فقد وُلد في بيت عزّ وشرف عربت إلى هرغة.

كما أن بطون مصمودة، كانت تغلب عليها التسمية البربرية، وما الأسماء المتداولة، والتي تبتدئ غالبا بحرف الهاء، إلا تعريب لأسماء هذه البطون من البربرية، من تلك الأسماء هزرجة، هنتاتة، هرغة، هزميرة وهيلانة وهي أسماء تبدأ في الأصل بحر ساكن مثل

[1] البيدق، أبي بكر علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت**، المصدر السابق، (مقدمة المحقق).
[2] الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، د ت، ص3.
[3] عنان، المرجع السابق، ص 159.
[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 203.

آيت أرغن قبيلة ابن تومرت[1]، التي إذن يبدو أن الاستنتاج الذي ننتهي إليه أن ابن تومرت بربري الأصل والنسب، وبالدلائل الظاهرة، يتضح أن النسبة النبوية كانت في الحقيقة ضرورة سياسية، أكثر منها حقيقة نسبية، إنّ أقلما نستطيع أن نعبّر به على قضية نسب ابن تومرت، أن نسبة ابن تومرت إلى بيت النبوة تقترب كثيراً من المستحيل.

ولعل هذا ما ذهب إليه بعض المؤرخين، ووفق الأسطورة المهدي المنتظر أن يكون المهدي منهم –آل البيت– ومن ثم فإننا نجد إلى جانب نسبة ابن تومرت البربرية المحضة، نسبة أخرى ترجعه لآل البيت[2] نعني بيت النبوة. بعيداً عن هذا السياق، يتوفر بين أيدينا بعض النصوص التي قد تعتبر إشارات عن الرغبة السياسية، والقدرة على السيطرة والتحكم منذ الصبا، فقد كان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده[3]، ومما لاشك أنه عند ذهابه إلى الجامع في صباه كانت تتجلى على أقرانه سيطرته، وذلك ما شأناً سيجعل له موطنا فيقل وبأتباعه لفت إليه أنظار أهله وقبيلته[4].

يكاد المؤرخون يتفقون على أن ولادة ابن تومرت كانت في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري، وإن اختلفوا في تحديد سنة ولادته بالضبط[5].

وقد جمع الزركشي الأقوال في سنة مولده؛ فحكاية عن البيان المغرب، أن الإمام ولد سنة إحدى وتسعين، ويرى بن خل كان سنة أربع وثمانين، وقال الغرناطي سنة إحدى وسبعين[6].

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 212.
[2] عنان، المرجع السابق، ص 159.
[3] السلاوي ، المصدر السابق، ص 71.
[4] علام عبد الله علي، **تاريخ الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص50.
[5] نفسه، ص 44.
[6] الزركشي، المصدر السابق، ص 4.

المطلب الثاني: كنيته وأسرته

أولا: كنيته

أما مصدر كنية ابن تومرت فسيقت أراء مختلفة بصددها، منها رأي يرجح أنها كانت لأبيه ومعناها باللسان البربري (الفرحة) حيث كانت جدته لأبيه تنادي ابنه: (آتومرتاينو) أي: يا فرحتي، فغلبت على ابن تومرت هذه الكنية وهناك رأي ثان يورده محققو نظم الجمان فيقولون: أن لقب تومرت (يعني على الأرجح ضرب الألبسة الجلدية)[1]. ولاحظ رينيه بآسيه إن هناك في جزر الكناريا المقابلة لمنطقة سوس كلمة شائعة هي(تاماركو) وتعني كساء من الجلد وقد (تكون كلمتا (تومرت) و(تاماركو) من أصل واحد).[2]

أما كنية ابن تومرت (اسافو) فقد ذهب ابن خلدون على أنها تطلق على من يكثر سرج القناديل في المسجد وكان ابن تومرت كذلك[3] ويخالفه الرأي (الفرد بل) فيذهب إلى أن كنية اسافو "تعني الشعلة وقد أكتسبها ابن تومرت من ظهور علمه بين قومه الجهلة ولكن لفظة اسافو لها معان مجازية عدة في لهجات البربر، فهي تطلق على صاحب الفطنة والنباهة والحيلة القوية كما تطلق على من لا يرتضي الإهانة ولا يبيت على ضم، لذلك يمكن القول أن المعاني المجازية للفظة (اسافو) قد جمعت بين الجد والحزم. أما كنيته" أبو عبد الله "[4]، "[4]، هناك حديث نبوي شريف: (خير الأسماء ما حمد وعبد).

وربما اقتضتها التقاليد العربية التي تكني من لا أبناء له بأبي عبد الله كنوع من الإجلال والتفاؤل والتعظيم. أما لقبه المهدي فلم يطلق عليه إلا بعد أن أشهر " المهدية " و بها بايعه الناس أما عن لقب " أمغار أو " الشيخ " الذي تلقب به والد ابن تومرت والذي ذكره ابن خلدون وهو دليل احترام قومه له[5].

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 88.
[2] ابن القيطان، المصدر السابق.ص88.
[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 226.
[4] الفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، تر عبد الرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981، ص 251.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 225 ينظر: كاتب أندلسي، المصدر السابق، ص 103.

ثانيا: أسرته

ينتمي ابن تومرت إلى أسرة من أواسط القوم غير بارزة الثروة والجاه فيهم، إلا أنها كانت على شيء من المكانة الدينية، وهو ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله: وكان أهل بيته أهل نسك ورباط[1]، وقد أشار إليه المراكشي فيما يخص الشرف في أسرته[2]، وربما أصبحت فيما بعد ذات جاه بعد أن صار والده شيخا لقبيلته، وهذا ما دعا مجتمع قبيلته لينادونه ب "أمغار" والتي تعني بالبربرية الشيخ[3]، أطلقه عليه قومه تعبيرا عن الاحترام، وإذا صح ما قاله ابن خلدون من أنه كان يلقب في صغره أيضا أمغار[4]، فننه يدل على احترام لأصل العائلة باعتبار مكانتها الدينية.

أما أمه فلا نعرف عنها من خبر سوى أن كنيتها أم الحسين، وهي بنت وابركن المسكالي من بني يوسف، وقد أعنست عند أهلها، فلما خطبها عبد الله وكان فقيرا رغب أهلها في مصاهرته[5] لقد كان لابن تومرت إخوة أصبحوا فيما بعد أكثر شهرة[6]، ويبدو من خلال هذه المعلومات القليلة عن أسرة المهدي أنها كانت أسرة يسودها الوئام والمحبة ويتعامل أفرادها على أساس من الخلق الإسلامي، وهو ما يظهر العلاقة التي ربطته مع والده الذي كان شيخه منذ صغره.

المطلب الثالث :صفاته ومميزاته

أولا: صفاته

لقد انتظمت سيرة ابن تومرت في عدة كتب أهمها كتاب " أعز ما يُطلب " وكتاب " مذكرات البيدق " المعروفة بكتاب "أخبار المهدي " ومن قراءة متأنية لهذه الكتب نجد أنها تصفه بالزهد البساطة، بقسوة، الدهاء. ومن هذه المذكرات نتعرف على ابن تومرت كما ذكر، فيقول: الإنسان الزاهد الفقيه الذي يعمر المساجد ويدرس أصول الفقه و الشريعة ويوجه كل

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 31.
[2] ابن القطان، المصدر السابق، ص 34.
[3] نفسه، ص 34.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 464.
[5] ابن القطان، المصدر السابق، ص 37.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 465.

من يحاول النيل منها و الانحراف عنها، فلم يعرف عنه التزلف إلي الخلفاء الأمراء ولم يقترب منهم طمعاً في جاه أو منصب سوى إسداء النصح لهم وحثهم على تطبيق الشريعة ودعوتهم إلى تغير المنكر أو إرساء دعائم الحق والعدل بما يفيد الرعية.

ونراه أيضا برفقة طلبته يجوب الأسواق والطرق داعياً إلى تغيير المنكر، فيحطم أواني الخمر وآلات اللهو والطرب ودعوة الناس إلى التمسك بالشريعة الإسلامية، مما جلب عليه سخط الولاة والحكام الذين انغمسوا في الترف والملذات ورأوا فيه وهو يأسر قلوب الرعية ليلتفوا حوله خطر أيحيط بهم وبمصالحهم فناصبوه العداء وطلبوا منه مغادرة مدنهم.[1]

يقول روجي لى ترنو إن استقامة ابن تومرت وسمو أخلاقه جعلت شهرته تطبق الآفاق وتسبقه في النواحي التي حل بها في رحلة عودته من المشرق، فصارت القلوب تهفو إليه فتسابق في الاستزادة من علمه الخاصة قبل العامة، ولم يستغل شهرته في نيل عرض الدنيا فزهد فيها كل الزهد. فكبح جماح نفسه ونأى بها عن الزواج.[2]

اعتبر ابن تومرت التهاون والتخاذل في تطبيق مبادئ الشريعة، أمر لا ينبغي السكوت عليه فوجب مقابلته بالحزم والشدة فكان يحارب الفساد والمفسدين " وإن من ترك دفع الفساد كمن أعان عليه بنفسه وماله، وإن الفساد لا يُدفع بالتخاذل إنما يدفع بالتناصر"[3].

نستنتج من السابق أن الحياة المتقشفة الزاهدة لابن تومرت أعلت من مكانته في نفوس مريديه والمقربين منه، فزاد تبجيلهم وتقديرهم له، وأنزلوه منزلة عالية في نفوسهم فجعلوه قدوة يقتدون بها.

ولعل مرد قسوته يعود إلى بيئته التي شب فيها وترعرع ، يقول ابن خلدون لقد عاش في بيئة جبلية قاسية يسودها شظف العيش، فأثّرت فيه كثيرا فأكسبته البأس والقوة أمام حياة الزهد.[4]

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 264.
[2] روجي لى تورنو، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12و13**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس–ليبيا، 1982، ص 16- 17.
[3] ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح :عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 238.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 229.

ثانيا: مميزاته

يقال أنه استثمر دعاءً رُوي عن الإمام الغزالي قيل أنه بعد إحراق كتابه " إحياء علوم الدين " قد دعا ربه بالانتقام من المرابطين لفعلتهم تلك. فوعد ابن تومرت الغزالي بأنه سيثأر له من المرابطين وذلك بإسقاط دولتهم. واستغل ابن تومرت ما كان يحمله أهل (المغرب من احترام وتقدير للعلماء الأولياء) فعمل على التأثير على أفكار المغاربة مستخدما مكره ودهاءه، فنراه في مدينة تينملل حين استقر فيها يحاول استمالة قلوب أهلها لأنه محتاج إلى مؤازرتهم في مرحلة قادمة، فأمن جانبهم وحثهم لعمل جسيم قادم، وهو قتل جنود أمير المسلمين حين أتوا لجمع الضرائب من أهل تينملل. فنفذوا أمر ابن تومرت في ذلك. وبعد أن شق سكان تينملل عصا الطاعة على الحاكم الشرعي حينما قتلوا جنده صاروا طوعا بن تومرت[1] إلا أن المودة بينهما لم تدم طويلاً، فظهر بعض التململ من السكان بما قاموا به من عمل ضد جنود أمير المسلمين فأرادوا إصلاح فعلتهم تلك فأحس ابن تومرت بذلك عن طريق عيونه التي بثها بين السكان واستغل أحد أتباعه المقربين واسمه " البشير الونشريشي " باصطناع الهبل فظهر هذا الأخير في صورة إنسان فقيه عالم، واستغلت تلك الخديعة ضد الأعداء من غير الموالين لابن عليه تومرت.

نجحت تلك الخطة فتخلص ابن تومرت من الذين يشكلون خطرا وعلى حركته، وضمنَ الطاعة العمياء من الناجين الذين أعتبرهم "البشير" موالين لابن تومرت "[2]، أما الحيلة الأخرى فهي " استجواب الموتى " بعد خسارته في إحدى معاركه وقتل أصحابه. فقام بها حين أوجس خيفة من انفضاض الأحياء الباقين من أصحابه عنه، فلجأ إلى حيلة حيث دفن أصحابه في ساحة المعركة وهم " أحياء ".

يروي ابن أبي زرع القصة فيقول: " أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم: إذا سُئلتم فقولوا: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفة الثواب على جهاد لمتونة ، وعلو الدرجات التي نلنا بها الشهادة، فجدّوا في جهاد عدوكم ،

[1] ابن الأثير، علي بن أبي كرم محمد، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980، ص 296 –297.
[2] البيدق، **المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب، في صدر الكتاب أخبار المهدي**، ليفي بروفنسال، ط2، بولس، باريس، 1928، ص 36.

فإن ما دعاكم إليه الإمام المهدي صاحبكم حقاً "[1] ثم أرسل وجهاء القوم وعليتهم لسؤال الشهداء المزعومين المدفونين أحياء في ساحة المعركة عن حقيقة الأمر، وبالفعل فحين سألهم الوجهاء عن ذلك. أجاب الأحياء المدفونون بما لقنوا "، فأفتتن بذلك كافة الناس، ثم أتى ابن تومرت فأغلق على أصحابه الذين دفنهم المتنفسات التي تركت لهم.[2]

ولم يكن دهاء ابن تومرت شرا كله فقد استخدمه في مناحٍ إيجابية منها: تعليم الناس القرآن في الصلوات، فيروي لنا ابن أبي زرع: ومن حيلته وسياسته أنه لم يقدر على طائفة المصامدة أن يتعلموا أم القرآن الكريم لشدة أعجميتهم فعدد كلمات أم القرآن وسمى بكل منها رجلاً ثم أقعدهم صفاً واحداً، فقال للأول منهم: اسمك: الحمد لله وقال للثاني اسمك: رب وقال للثالث اسمك: العالمين.

وقد حاول تبسيط العقيدة وتسهيل فهمها للعامة من الناس فكتبها بلسانهم البربري بصورة موجزة سماها المرشدة "لأنه كان يرى أن الإسلام دين الناس كافة، وأن فيه كل ما يتعلق بعادتهم وعبادتهم وليس مقصورا فهمه واستيعابه على الخاصة.

نرى أن هناك صورتين لابن تومرت: صورة الرجل الحريص على الدفاع عن الشريعة المجاهد في سبيل الله، وصورة الرجل القاسي الذي لا يتورع عن شيء، وإذا صح ما ذكره بعض المؤرخين عن أبن تومرت، يتضح لنا صورة رجل كان يؤدي إلى تحقيق أهدافه وطموحاته وأن زهده وتدينه.

المبحث الثاني: رحلته في طلب العلم وإنتاجه الفكري

المطلب الأول: محطات الذهاب

دَرَج ابن تومرت في بداياته الدراسية، على ما كان منتشراً في أيام دولة المرابطين، في أيام أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين (453-500 هـ) وقد كان المستوى العلمي في تلك الأيام حسب ما بين بروفنسال، عالياً جدا وقدك انتمراكشوهي من المحطات الأولى في حياة

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 182.
[2] السلاوي، المصدر السابق، ص96.

ابن تومرت العلمية من أعظم العواصم الإسلامية آنذاك ويرجع سبب ذلك إلى أن وقعة الزلاقة، طوتل ابن تاشفين الأندلس تحت جناحه، فانقطع للمرابطين من كلفن فحوله، حتى أنّه يشبِّه حضرة ابن تاشفين بحضرة بني العباس في صدر دولتهم[1].

وعند إجراء مقارنة استقصائية عن مواد الدرس في هذه المرحلة، أجرى أحد المؤرخين مقارنة مستنتجة من كتاب الأستاذ الفاسي عن دراسة القاضي عياض المعاصر لابن تومرت فذكر أنه كان في أواخر القرن الخامس بسبتة علماء أجلاء فدرس القرآن وعلومه والحديث والفقه والأصول، وعلوم اللسان والأدب، لاشك أن هذه المواد كانت هي نفسها التي تدرس بمراكش وغيرها من بلاد المغرب وقتها.[2]

كانت محطة رحلته الأولى الأندلس وذلك حوالي سنة 500 هـ[3] ولم يرد لنا الكثير من أخبار إقامته في تلك الديار إلا أنه تتلمذ على يد قاضي قرطبة أبي جعفر محمد بن محمد بن حمديس[4] (ت 548 هـ) ولم تكن الأندلس يومها أفضل حالاً من المغرب في مجال علم الأصول باستثناء المذهب الظاهري الوحيد الذي نشره ابن حزم (ت 456 هـ) ودعا إليه والذي يقوم على أن المصدر الفقهي الوحيد هو النصوص وعلى " ترك الأخذ بالرأي بكافة ضروبه من قياس ومصلحة واستحسان"[5] ولا شك أن هذا المذهب الذي كان أول ثورة في الأندلس على علم الفروع قد لاقى هوى في نفوس الطلاب الشباب أمثال ابن تومرت وهذا ما جعل بعض الباحثين والدارسين يذهبون إلى القول بتأثر ابن تومرت بمنهج ابن حزم.[6]

وكانت محطته الثانية بعد الأندلس هي الإسكندرية بمصر حيث أخذ عن أب يبكر الطرطوشي الذي كان ثائرا على البدع، وحضر دروسه ولُقن المذهب الأشعري في العقائد وتوالت المحطات التي زارها ابن تومرت فذهب إلى مكة والمدينة وبغداد ودمشق، التي كانت مراكز علمية تعج بمختلف التيارات الفكرية والفرق المذهبية والمدارس الفقهية.

---

[1] علام، المرجع السابق، ص 51.
[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص203.
[3] ابن القطان، المصدر السابق، ص4.
[4] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د ن، ص 592-594.
[5] عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت**، المرجع السابق، ص 67.
[6] المراكشي، المصدر السابق، ص 245-246.

ومن الواضح أن بغداد كانت قد ساهمت في تكوين رؤية ابن تومرت إلى نفسه و إلى الإسلام و إلى الكون، بسبب طول المدة التي أمضاها هنالك طلباً للعلم وبحثاً عن الحقيقة وبسبب كثرة الملل والنحل والفرق المتجادلة ذات الآراء المتناحرة، وبسبب العدد الكبير من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ومنزلتهم الرفيعة أمثال الكياهرسي (ت 504 هـ) الذي أخذ عنه الفقه والأصول والجدل والحديث.

إن الرحلة العلمية لابن تومرت كانت السّبب في تمكينه من أمرين:

1- الإطلاع بعد تفاصيل الرحلة – فيشقها المغربي والأندلسي- على المستوى العام للعلم وخصوصاً عند فقهاء المرابطين، وذلك ما يكشف النقائص لابن تومرت، سواء على الصعيد العلمي، أو الصعيد الاجتماعي من خلال استطلاع أحوال العامة، والإطلاع على مواطن التذمُّر واستثمارها سياسيا.

2- كسب تجربة سياسية من خلال التجول في كلّ البلاد المشرقية تقريبا، والإطلاع على أحوال المسلمين، والإمارات الإسلامية، وسوء الحال الذي وصلت إليه الخلافات الفاطمية والعباسية.

على أن تفاصيل رحلة ابن تومرت موضع شك كبير[1]، في الكثير من المحطات، وحتى في كثير من الجزئيات المتعلقة بالجانب الأسطوري؛ أو حتى تلك المواقف التي كانت روايتها في الحقيقة عبارة عن حيل و تمويهات انطبع بها ابن تومرت ذو الذهنية الصارمة والبسيطة[2]، ومن الدلائل مثلاً اختلاف المؤرخين في مسألة إقامته بالأندلس، هل كانت للدراسة أم كانت مرحلة عبور إلى المشرق الإسلامي[3]، الرافضون لنظرية طلبه للعلم على يد القاضي أبي جعفر حمدين بن محمد بن حمدين، يستدلون بقصر إقامته في الأندلس على أنها دلالة كانت مرحلة عبور فقط.[4]

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص203.
[2] عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 305.
[3] علام، المرجع السابق، ص 51.
[4] علي محمد الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، دار الإيمان، ج2، الإسكندرية، 2003، ص 456.

حتى اعتبار مروره بالأندلس مجرّد مرور فقط، لا ينفي عن ابن تومرت تأثره بتعاليم ابن حزْم الظاهري، كذلك نرى المؤرخين ينظرون بغموض لتفاصيل هذه الرحلة، فمثلاً من المؤرخين من يرى بأن رحلته إلى العراق سَبقت حجّه ويذكر ابن الأثير: فحج من هناك وعاد إلى المغرب[1] أو العكس[2] وقد امتدت إقامة ابن تومرت بالمشرق مدة لا تقل عن العشر سنوات حيث استقر حسب المصادر التاريخية بمنطقة بغداد لأنها كانت تعتبر موطن ثراء علمي كبير ومقرا لأشهر علماء العصر في مختلف الفنون.[3]

المطلب الثاني: لقاء ابن تومرت بالغزالي

لا نكاد نجد كتابا من المصادر أو المراجع التي تناولت العصر الموحدي بالدراسة والنقد إلا وقد عولج فيها موضوع لقاء ابن تومرت بالغزالي أبي حامد، بل وإنه لمن مستلزما تذكر حياة ابن تومرت، ذكر قضية الغزالي في رحلته إلى المشرق وتتلمذه في أقصى الأحوال ونقله على أبي حامد الغزالي وفي أدنى هذه الأقوال أن الغزالي دعا أن يمزق الله ملك المرابطين لتمزيقه مل لإحياء وأن ذلك كان بحضور ابن تومرت[4]، فطلب الأخير من الغزالي أن يكون ذلك على يديه ففعل الغزالي.

المهم أن أقوال المؤرخين انقسمت بين " مثبت وشاك ونافٍ لهذا اللقاء"[5] بل وإننا نجد في هذا الشك، حتى عند منعُ رف من المؤرخين، باستماتته في الدفاع عن ابن تومرت، حيث يعبّر ابن خلدون عن هذا اللقاء قائلا: "ولَقِي في ما زَعَموا أبا حامِدٍ الغزالي"[6]، إنه كلام شاك شاك في اللقاء.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 234.
[2] علام، المرجع السابق، ص51.
[3] عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، المرجع السابق، ص 10.
[4] المراكشي، المصدر السابق، ص155.
[5] حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخايفي، ط1، القاهرة، مصر، 1980، ص 35.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ص302.

هذه الدقيقة في بدايات ابن تومرت تجعلنا نتسم فيها الغموض، بل وإنّنا نكاد نميل إلى الرأي بالجزم بعدم لقاء ابن تومرت بالغزالي، ذلك أن ابن تومرت غادر بلاد متجها إلى المشرق سنة 506هـ والمعلوم أن الغزالي توفى بطوس حوالي سنة (505 هـ/ 1111 م)، ويرتقي الشك في هذه المسألة حتى إلى بلوغ ابن تومرت بغداد أصلا هذا عن الدليل العلمي، الحسابي الذي يمكننا من إدراك الخلل في صحة هذه الرواية.

ومن الأدلّة المادية على ذلك أيضاً أن قرار المرابطين بحرق كتب الإحياء صدر في أوائل عهد علي بن يوسف سنة 503 هـ، أي بعد مغادرة الغزالي إلى نيسابور وقبيل وفاته بنحو سنة، فأين ومتى إذن كان هذا اللقاء؟، هي « إذن أسطورة نسجت قصة النسب لآل البيت، لتغدو هالة تحيط بشخصه وسيرته »[1].

المطلب الثالث: عودته من المشرق وإنتاجه الفكري

أولا: عودته من المشرق

أثناء رحلة عودته من المشرق والتي كانت بدايتها حوالي 510 هـ شهر ربيع الأول[2]، نجد ابن تومرت آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حيثما حل وارتحل؛ وهذا ما دفع رجال السلطة إلى سجنه تارة أو نفيه تارة[3]. ولكن جرأة ابن تومرت لا تعني أنه كان ساذجاً يجازف بحياته، فيذكر ابن خلكان أنه: " كان إذا خاف من البطش، وإيقاع الفعل به، خلط في كلامه فينسب إلى الجنون "[4] وكذلك في كل مدينة ينزل بها من المشرق إلى المغرب و لعلنا نسجل نسجل في هذه الرحلة أن ابن تومرت لم يكن يجبره فقط عداء السلاطين على التوجه غرباً، فلقد غادر المهدية رغم إكرام أميرها له و هذا يجعل لتنقل ابن تومرت في مساره هذا أسباباً أخرى غير مجرّد فراره من بطش السلطان في هذه البلاد أو تلك.

[1] عنان، المرجع السابق، ص 162.
[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص173.
[3] المراكشي، المصدر السابق، ص 156.
[4] ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد، **وفيات الأعيان و أنباء الزمان**، تح :إحسان عباس، دار صادر، مج 5، ط6 بيروت، لبنان، 2013، ص 46.

أثناء سير ابن تومرت نحو مراكش[1]، نجده يمزج بين الأسلوب الحاد، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – والذي ربما جلب الأنظار لشخصه أكثر من تغييره للواقع الاجتماعي– وبين التخير الدقيق والمدروس لمن يصحبه من كل بلدة ولذلك فإنه كان يتجنب أهل الفطنة والذكاء ويتخير الأغمار مع ذوي القوى الجسمانية لأنهم اعجز عن المناقشة والجدال[2].

ظهر ابن تومرت على فقهاء المرابطين بحضرة ابن علي، حيث يسبقهم بذكائه إلى تسيير المناظرة، وتوجيه الفقهاء إلى ما يريد هو من علم الأصول لا إلى علم الفروع الذين هم أقطابه فأظهر جهلهم بأصول الدين والشريعة، أمام الحضور.

وكان كلما يحضر بمدينة معينة تتيح له الفرصة للتعبير عن أرائه وأفكاره التي كانت تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، ويمكن اعتبار هذه الرحلة العلمية العامل الأساسي في تكوين شخصية ابن تومرت، فقد ساهمت مساهمة إيجابية في توسيع مداركه وإثراء فكره من خلال دراسته على أيدي علماء مشهود لهم بالكفاءة، ومما ساهم في إغناء فكر ابن تومرت أن الذين درس عليهم كانوا ذوي مفاهيم متحررة، الأمر الذي ساعد على التأثير على فكر ابن تومرت، فرجع إلى موطنه" المغرب "، كما قال ابن خلدون:" بحرا متفجرا من العلم وشهاباً واريا من الدين"[4] مما شجعه على أن يحاول تطبيق ما تعلمه في المشرق من أفكار متحررة في المغرب، الذي كان يلفه الجمود والتقليد يحرك ابن تومرت في ذلك طموحه الذي بلور فكرة إنشاء دولة مذ كان يتعلم في المشرق ويسنده ذكاءٌ حاد عرف عنه وصفات حقيقة أو تظهر بها منها والورع والنسك والزهد و التقشف والشجاعة التي جعلته لا يتورع أن ينكر على الناس انغماسهم في الملذات و الشهوات " فيما يخالف الشرع، لا يقنع

[1] **مراكش:** مدينة كبيرة جدا ومن المدن الرئيسية في العالم، ومن أكثرها شرفا في إفريقيا، وتقع هذه المدينة في سهل وناسع على مسافة أربعة عشر ميلا من الأطلس وقد سميت من قبل يوسف أبو تشفين، وجعل منها عاصمة له، وقد سميت وفق مخططات وضعها مهرة المهندسين على يد طائفة من العمال الحاقدين ينظر: **وصف إفريقيا** للكاتب جان ليون الإفريقي المعروف بالحسن بن محمد الوزان، تر: عبد الرحمن حميدة وراجعه علي عبد الواحد، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1983، ص 409.

[2] الناصري، المرجع السابق، ص 78، ينظر:الصلابي، المرجع السابق، ص 469.

[3] عبد المجيد النجار،المهدي ابن تومرت، مرجع سابق، ص 108.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 226.

في أمر الله بغير إظهاره، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملا للأذى من الناس بسببه"[1].

ويمكن أن نلخص آثار رحلاته العلمية في العوامل الآتية :

– العامل الفكري ومصدره أساتذته الأكفاء الذين تفقه على أيديهم وازدادت معرفته غنى بفضلهم.

– العامل السياسي الذي أفرزه الواقع السلبي للأمة الإسلامية في المشرق المتمثل في الضعف والانحطاط.

– العامل الاجتماعي الذي ظهر في ضعف الوازع الديني وابتعاد الناس عن القيم الأخلاقية التي يدعو لها الإسلام.

ثانيا: إنتاجه الفكري

ما حصل عليه ابن تومرت من ثقافة دينية رفيعة المستوى أودعها فيما نسب إليه من مؤلفات انتظمت فيها مسائل العقيدة وأصول الدين والتوحيد والفقه وأصوله والحديث والدعاء والابتهال والجهاد والمواعظ والصلاة والطهارة وتحريم الخمر، هذا التنوع يرسم لنا صورة متكاملة لفكره العقدي والشرعي " وإن يكن هناك مآخذ على هذه الآثار من أنها ليست مؤلفة على الطريقة المألوفة للتأليف بالالتزام بالترتيب في المسائل، والتدرج في عرضها والاستيفاء لجزئياته" فإن هذا لا يقلل من شأن ثقافة ابن تومرت الدينية التي حصل عليها من خلال رحلاته إلى المشرق ودراسته على صفوة من العلماء المشهود بكفاءتهم، وكذلك من خلال ما نجده في أثاره من شمول لمختلف اهتماماته العلمية والاجتماعية ويمكننا أن نذكر من أثار ابن تومرت ما يأتي:

• **أعز ما يطلب:** وهو ليس كتاباً واحداً كما يعتقد البعض، بل هو مجموعة من كتب المهدي ورسائله وتعاليمه.

[1] عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت**، المرجع السابق، ص 104.

• **محاذي الموطأ:** وهو كتاب أوجز المهدي فيه " موطأ الإمام مالك من رواية يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي وذلك باعتماده على الراوي الأخير للحديث، وينكر عبد الله علام نسبة هذا الكتاب لابن تومرت ويقول: إنه قد ألفه جماعة من الموحدين غير أن هناك من يثبت النسبة إلى ابن تومرت "لأنه في رأيه " يحمل في أوله السند كاملا من عبد المؤمن الذي أملاه إلى مالك ابن أنس [1]".

• **مختصر صحيح مسلم:** وهو صحيح مسلم محذوفة منه الأسانيد وينكر نسبة هذا الكتاب لابن تومرت عبد الله علي علام فيقول " إن كتابته تمت بمدينة سلجماسة سنة 560 هـ أي بعد وفاة المهدي بن تومرت بنحو ست وثلاثين سنة ".

• **المرشدة:** وهي رسالة لا تتعدى الصفحتين، وقد ورد ذكرها في كثير من كتب التراجم والتاريخ.

• **كتاب في التوحيد باللسان البربري:** ذكره ابن القطان وابن الخطيب من أنه يشتمل على مسائل مختلفة في العقيدة متدرجة من معرفة الله تعالى إلى معرفة نبيه وما أخبر به من الغيب.[2]

• **رسائل متنوعة:** واحدة إلى أتباعه يحثهم فيها على الجهاد نشرها " ليفيبروفنسال" ضمن كتاب أخبار المهدي بن تومرت وبها نقص بأولها، ومعها رسالة ثانية يخاطب بها المرابطين وأتباعهم من القبائل، وتشتمل على تهديد ووعيد وقد وردت في وهناك رسالة ثالثة موجهة إلى بعض المؤلفة قلوبهم من القبائل وردت و بها نقص كبير.[3]

[1] عبد الله علي علام، المرجع السابق ، 313.
[2] ابن القطان، **نظم الجمان**، المصدر السابق، ص 129.
[3] البيدق، **أخبار المهدي**، المصدر السابق، ص 11-12-13.

خلاصة الفصل

ما سبق يمكننا نستنتج أن شخصية ابن تومرت شخصية فذة رغم التناقضات التي أضفت لديه تميزا ذاتيا نسجتها عوامل حياته الثرية بالأحداث، وتضافر في بناءها الظروف التي تقلبت فيها، فساهمت بيئته الجبلية ببذر الجدية والحذر وأسهمت رحلته المشرقية برصيده العلمي ونضجه الفكري و إيمانه العميق بالتغيير فولد له هذا التفاعل خصالا قيادية، حامل بها مشعل الدعوة انطلاق من الواقع المغربي السياسي و الاجتماعي إلى تشكل كيان سياسي مستقل.

الفصل الثاني: أشعرية ابن تومرت

- **المبحث الأول:** الأشعرية مفاهيم ودلالات
- **المطلب الأول:** مفهوم العقيدة الإسلامية .
- **المطلب الثاني:** مفهوم العقيدة الأشعرية .
- **المطلب الثالث:** أفكار وعقائد الأشعرية
- **المبحث الثاني:** أسس واثار العقيدة الأشعرية لابن تومرت
- **المطلب الأول:** أسس العقيدة الأشعرية لابن تومرت
- **المطلب الثاني** : ظهور دعوة ابن تومرت
- **المطلب الثالث** : الأثر الديني لعقيدة ابن تومرت

تتخلل كل مذكرة أو بحث أكاديمي –في الغالب– مصطلحات، تنتمي إلى مجاله التداولي وهي بمثابة المفاتيح المفضية إلى سياقاته الفكرية، ومقاصده العلمي، وقد يؤدي إهمال مصطلحات محورية بمفاهيم معينة لدى الباحث، تختلف عما استقر من مفاهيم لدى المتلقي إلى إحداث إرباك في الفهم، وخلل في التواصل بين طرفي الخطاب، ما يستدعي بالضرورة تجلية المفاهيم والدلالات المرتبطة بالمصطلحات المركزية في البحث أو المذكرة.

المبحث الأول: الأشعرية مفاهيم ودلالات

المطلب الأول: مفهوم العقيدة الإسلامية

العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد والانعقاد، وهو ما يدلّ على الشَّدّ والوِثاق، ونقيضها الحِلّ ومن هنا استعملوا هذه اللفظة في البيوع والعقود ونحو ذلك[1]، و يقال في لغةً العرب عُقِد الحبل والبيع، وتعني الارتباط الوثيق والالتزام القوي، حسيًّا ومعنويًّا، وهذا المعنى اللغوي يوضح لنا أن لفظ العقيدة يدور حول الإحكام والتوثيق[2].

يمكن القول إن العقيدة –مهما اختلف جوهرها– ليست مجرد مبادئ عامة تسبح في الفضاء دون أن يكون لها انعكاس على الواقع الحياتي للمؤمنين بها وبمبادئها؛ لذلك فإن ارتباط النظرية بالتطبيق هو ما يميز العقيدة عن غيرها من البنى الفكرية الذهنية. فالعقيدة ليست مجموعة من التصورات الذهنية المنفكة عن الواقع والحياة العملية للفرد والمجتمع، بل هي منظومة من التصورات الهادفة إلى التأثير في الفعل الإنساني، من خلال مجموعة من القيم والمبادئ والأحكام التي تنبثق من هذه التصورات وترتكز عليها. فالعقيدة هي القاعدة الصلبة التي تتأسس عليها الوحدة السياسية للأمة[3].

---

[1] مرتضى الزبيدي، **تـاج العـروس من جـواهر القامـوس**، المطبعة الخيرية، ج10، القاهرة، مصر، 1306-1307ه، ص 394، بتصرّف.

[2] السيد رزق الطويل، **العقيدة في الإسلام منهج حياة**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1981، ص 15.

[3] لؤي صافي، **العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1996، ص 53.

وقد استخدم علماء المسلمين الأوائل لفظ العقيدة للدلالة على المفاهيم المنبثقة من نصوص الوحي التي يشكل مجموعها تصور المسلم الكلي للوجود، ولم يتطور المفهوم ليأخذ المعنى المستخدم به اليوم إلا في مرحلة متقدمة من الفكر الإسلامي[1]، فمنذ منتصف القرن السادس الهجري بدأت تظهر مؤلفات توظف مصطلح العقيدة لإعطاء تصور كلي للوجود مستمد من الكتاب والسُنّة، ومن أهمها كتاب شرح العقيدة الطحاوية الذي ألفه علي بن أبي العز وكتاب شرح العقائد النسفية للتفتازاني.

أما العقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرسل والجمع: عقائد وخلاصة ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به، فهو عقيدة، سواء كان حقاً، أم باطلاً وعليه فان العقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والإتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2] وللعقيدة الإسلامية عدد من الخصائص، أهمها:

- أنها ربانية من عند الله.
- عقيدة ثابتة واضحة لا غموض فيها.
- عقيدة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط
- عقيدة تقدم الدليل فلا تسأل الآخرين مجرد التصديق الأعمى بها.
- عقيدة الفطرة ليست غريبة عليها أو متناقضة معها.[3]

[1] لؤي صافي، المرجع السابق، ص 51.
[2] عبد الله بن عبد الحميد الأثري، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، المملكة العربية السعودية، 1422ه، ص29.
[3] نعيم يوسف، **أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع**، دار المنار، المنصورة، مصر، 2001، ص 15.

تقوم العقيدة في الإسلام على عدد من المبادئ الأساسية السابقة الذكر، التي يجب على كل المسلمين الإيمان بها جميعًا دون نقصان، وإلا أصبح إيمان هؤلاء غير مكتمل[1]، وتتمثل هذه المبادئ في:

– **أولاً:** دين التوحيد الخالص، الإسلام هو دين التوحيد الخالص لله، أساسه " أن لا اله إلا الله"؛ بمعنى إثبات الألوهية لله (عز وجل) ونفيها عن أي شيء آخر، فالمؤمن يدرك أن هناك إلهًا واحدًا فقط؛ لأنه لو كان هناك إلهان لاختلفا و فسد الخلق.

إذن محور العقيدة في الإسلام واضح وصريح هو التوحيد، توحيد الله رباً، والإقرار بوحدانيته في كل شأن فلا نتجه بأي مظهر من مظاهر العبادة لغيره[2].

– **ثانيًا:** الإيمان بالرسل، حيث لا يستقيم إسلام المسلم، ولا يصح إيمانه بدون الإيمان برسل الله جميعًا.

– **ثالثًا:** الإيمان بالكتب السماوية، فالإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بالوحي الذي أنزله الله عليهم لهداية البشر.

– **رابعًا:** الإيمان بالملائكة، بوصفهم من مخلوقات الله، ولكن لهم طبيعة مختلفة غير طبيعة البشر، وهم من عالم الملأ الأعلى الذي لا يدرك بالحواس.

وأخيرًا الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر.

ومن هنا يمكننا القول أن العقيدة الإسلامية هي الأسس التي يقوم عليها الدين، اعتقاديه علمية وعملية، وهي بمثابة الأسس للبناء، ولذلك جاء وصفها في الشرع بالأركان، وهي من أسس الدين والعقيدة، فأسس الإسلام تسمى أركاناً، وكذلك بقية الأصول.

[1] محمود حمدي زقزوق، **العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان**، مطبوعات مجلة الأزهر الشريف، القاهرة، 2002، ص 32.
[2] رزق الطويل، المرجع السابق، ص 17.

وهذه الأسس ليست محصورة بأركان الإيمان وأركان الإسلام، بل حتى أن أصول الإيمان وأركان الإسلام لها قواعد هي من قطعيات الدين والتي تمثل الركائز الكبرى، وتسمى ثوابت وتسمى مسلمات، وتسمى قطعيات، وتسمى أصولاً وغير ذلك من المعاني المرادفة التي يفهم منها أن العقيدة هي أصول الدين العظمى التي ينبني عليها الدين للفرد والجماعة[1].

وجوهر العقيدة الإسلامية هو(التوحيد) والذي يحوي جانبيين أولهما توحيد الربوبية، وهى الإيمان بوحدة الخالق الرزاق المنعم. والثاني توحيد الألوهية، وهذا الجانب يعني إفراد الله بالعبودية، فهو وحده المعبود بحق، وإذا كان توحيد الربوبية يعني ألا شريك مع الله في الخلق والرزق والإحياء والإماتة وما إلى ذلك، فإن توحيد الألوهية –وهو الجانب الثاني لمفهوم التوحيد– يعني أنه لا شريك مع الله في العبادة. ويجب أن يكون واضحًا أن توحيد الله غير مقصور على جانب الربوبية وجانب الألوهية فقط[2] و تنبيهًا على أهميته وتذكيرًا بمنزلته فإن العلماء اتخذوه عنوانًا لعلم العقائد كلها فالاعتقاد بوحدانية الله عز وجل وتنزيهه عن المثيل والشبيه والشريك، وأنه سبحانه المستحق للعبادة وحده دون سواه هو أساس العقيدة الإسلامية والمحور الذي تدور حوله مبادئها وأركانها.

المطلب الثاني: مفهوم العقيدة الأشعرية

تعددت المذاهب و الآراء والمعتقدات فظهرت نحل وملل، كل يعلو بصوته و يدلو بدلوه في الدفاع عن العقيدة باعتبارها أسس المجتمعات، كون أن الاعتقاد يندرج ضمن أولى الأوليات و اوجب الواجبات التي يتعين على الإنسان الاشتغال بكسبها و تيقنها والتحقق بها، فصلاح المعتقد استقامة للحياة و السلوك، و فساد المعتقد ترهل للوجود والقيم، ولعل ابرز معتقد ظهر في الفكر الإسلامي، بعد مخاض عسير العقيدة الأشعرية المنظر لها من قبل أبي الحسن الأشعري (260 – 324 هـ/ 874 – 936 م) أحد أعلام أهل السنة والجماعة،

[1] مجمل أصول أهل السنة، **تعريف العقيدة اصطلاحا**، المكتبة الشاملة الحديثة، ص4.
[2] رزق الطويل، المرجع السابق، ص 36.

وإليه ينسب المذهب الأشعري، وكنيته أبو الحسن ويلقب بناصر الدين، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري الذي هو من كبار الصحابة فضلاً وعلماً.

كان الإمام الأشعري عاش في كنف المعتزلة، فهو ربيب إمام من أكبر أئمتهم ألا وهو أبو علي الجبائي فهو زوج أمه تتلمذ عليه منذ نعومة أظفاره، حيث لقنه أصول المعتزلة وطريقتهم قبل أن يشتد عوده، فهو لا جرم تلميذه المقرب ظل يلازمه ويأخذ عنه لا يفارقه أربعين سنة وبلغ مكانة مرموقة لدى المعتزلة و ما لبث أن تبرأ منهم و اظهر فساد رأيهم.[1]

استطاع ابو الحسن الاشعري بعد ان تحول الى مذهب اهل السنة والجماعة تأسيس مذهب كلامي جديد يجعل من النص الشرعي منطلقا يعضده بالأدلة العقلية والبرهانية، اين نصر مذاهب السلف بمناهج الاعتزال.[2]

تجلت ثمرة مراحله السابقة الانتمائية في صناعة مرحلة ائتمانية للفكر العقدي لإنسان العصر الوسيط وما بعده فكان نتاج تطور مذهب اهل السنة و الجماعة، حيث انتقل من مرحلة تجنب الخوض في دقائق علم العقيدة كالذات الإلهية إلى مرحلة الدفاع عن العقيدة الصحيحة بالأدلة و البراهين التي تناسب طبيعة التحدي العقدي والفكري في المجتمعات الإسلامية.[3]

استطاع الإمام أبي الحسن الأشعري الانفراد بمعتقد جديد و وضع أسسه العلميّة و أسس بذلك لنحلة ظلت محل قبول و رفض و تباين أراء حول مؤسسها و من بعد انتقاد للأفكار و اشخاص فباتت العقيدة الأشعرية العقيدة التي يؤمن بها السائرون على نهجه؛ وإن كانت هذه العقيدة قد اعتنقها بعض الصحابة، ولكن لم يكن هنالك من نظّر لها قبل مجيء الإمام أبي الحسن الأشعري[4].

---

[1] عبد القادر محمد الحسين، **إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري**، دار المشرق للكتاب، ط1، دمشق، سوريا، 2010، ص 33-36.

[2] خالد زهري، **مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة**، ضمن كتاب: جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، لمجموعة باحثين، تنسيق: جمال علاء البختي، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، المغرب، 2012، ص67.

[3] محمد الأمين بوحلوفة ، بوركبة محمد، **السلطة و قبائل البربر و إسهامها في حفظ الفكر الأشعري في المغرب الاوسط** ، مجلة الحضارة الاسلامية، العدد 27، الجزائر، 2015، ص 257- 256.

[4] حمد السنان، فوزي العنجري، **أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم**، دار الضياء، الكويت، 2001، ص34.

لقد تميز الأشعري بجمعه بين العاطفة والعقل، ذلك أنه كان يعتمد على مخاطبة عواطف المرء ومع ذلك فإن سلم خصومه بدليل عقلي صرف، فإنه لا يتردد في استخدام الأدلة العقليّة لدحض أقوالهم[1].

وهذا ما دفع الحنابلة لاعتبار الأشاعرة مبتدعة لأنهم يستخدمون الحجج العقليّة، بل اعتبرهم البعض استمراراً للمعتزلة الّذين تميزوا بإيمانهم المطلق بالعقل الإنسانيّ. و يحكي ابن تيميّة، في هذا الصدد، أن النّاس في عصره كانوا يشنعون على الأشاعرة وينسبونهم إلى البدعة وبقايا الاعتزال. ثم إن من المؤرخين للفرق من صنفوا الأشعرية كواحدة من فرق المعتزلة.[2]

غير أن هذا الرأي الذي يعتبر الأشاعرة من المعتزلة غير دقيق، لأن المعتزلة توحد بينها أصول خمسة لم يقل الأشعري ببعضها، كما خالف المعتزلة في بعضها الآخر. فالأشعري لم يكن يرى أن المسلم مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمناً ولا كافراً، وإنّما جزم بأنه يظلّ مؤمناً وإن كان معرضاً للعذاب في النّار[3].

أي أن الأشعري لم يكن يرى بأصل المنزلة بين المنزلتين المعتزلي. وهنا يظهر أن الأشاعرة لا يكفرون المسلم مرتكب الكبيرة. كذلك خالف الأشعري المعتزلة في أصلي التّوحيد والعدل. التّوحيد بما يستلزمه من القول بخلق القرآن ونفي الرؤيّة، و العدل بما يستلزمه من خلق الإنسان لأفعاله وتحمله لمسئولية هذه الأفعال[4].

ومنهم من يعتبر الأشاعرة بالإضافة إلى الماتريدية، أنهما المكوّنان الرئيسيان لأهل السنة والجماعة التي تنقسم إلى تيارين كبيرين هما: التّيار الحنبلي الّذي يرفض الاشتغال بالكلام والفلسفة، والتّيار الأشعري الذي يحث على الاشتغال بعلم الكلام[5]، وقد قال في ذلك العلاّمة

[1] مجموعة من المؤلفين،**دائرة المعارف الإسلاميّة**، مادة: أبي الحسن الأشعري، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ج 3،ط 1، 1998م، ص 797.
[2] آرثور سعدييف، توفيق سلّوم، **الفلسفة العربيّة الإسلامية**، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2000، ص 36.
[3] مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص 796.
[4] عبد الرحمن سالم، **التّاريخ السّياسي للمعتزلة**، رؤية للنشر والتّوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص ص418-419.
[5] محمّد بوهلال، **إسلام المتكلّمين**، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 193.

المواهبي الحنبلي: طوائف أهل السنة ثلاثة: أشاعرة، وحنابلة، وماتردية، بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير من الكتب الكلامية وجميع كتب الحنابلة.[1]

غير أن الأشعري، مع ذلك يظلّ معتزلي النشأة، فرغم أنه هجر المعتزلة واختلف معهم في أصولهم فإنه ظلّ محافظاً على المنهج العقلي الذي سار عليه المعتزلة. إلا أنه أيضاً كان متأثراً بروح ابن حنبل ومنهجه، منهج أهل الحديث[2]، ولعلّ تأثر الأشعري بابن حنبل هو ما دفع بعض الحنابلة للقول أن الأشعري تخلى عن عقيدته قبل وفاته.

لقد جمع الأشعري في مذهبه بين العقل والنّقل، بين المنهج العقلي ومنهج أهل الحديث وأدخل المنهجين إلى أهل السّنة والجماعة. وهذا ممّا يأخذ عليه خصومه من داخل السّنة الذين يرفضون المنهج العقلي، كما تقدم ذكره، إذ إن اللاّهوتيين المعارضين للنظر العقلي يسحبون عداءهم للاعتزال ليشمل علم الكلام الأشعري أيضاً[3].

المطلب الثالث: افكار وعقائد الأشاعرة

تعتمدُ العقيدةُ الأشعريةُ على عدةٍ من الأفكارِ والمبادئِ، التي اشتهروا بها، وأصبح المذهب يعتمدُ عليها، فالأشعرية مدرسة سنية، تكاد تكون مطابقة لعقائد المدارس الأخرى المنتسبة للسنة إلا في مسائل قليلة بسبب اختلاف منهج التلقي والاستدلال. واتبعت منهجًا كلاميًا في الحالات قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى»: اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرّر لمذاهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً.[4]

1 عبد الباقي المواهبي الحنبلي، **العين و الأثر في عقائد أهل الأثر**، مح: عصام رواس قلعجي، دمشق، سوريا، 1987م، ص53.

2 عبد الرحمن سالم، المرجع السابق، ص 424.

3 آرثر سعدبيف، توفيق سلوم، المرجع السابق، ص36.

4 تاج الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود محمد الطناحي- عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ج4، القاهرة، مصر، 1918، ص365 .

اولا- مصدر التلقي:

الاستدلال عند الأشاعرة يكون بالأدلة النقلية (نصوص الكتاب والسنة) وبالأدلة العقلية على وجه التعاضد فالأدلة النقلية والعقلية عندهم يؤيد كل منهما الآخر، فهم يرون أن النقل الثابت الصريح والعقل الصحيح لا يتعارضان. والأشاعرة عندما يوجّهون خطابهم إلى مخالفيهم الذين لا يقيمون وزنا للكتاب والسنة، فإنهم يقدمون الأدلة العقلية على النقلية وذلك يكون فقط في مجال الاستدلال في العقائد في باب العقليات، لأنهم يرون أن المراد هو الرد على المخالفين كالدهريين والثنوية وأهل التثليث والمجسمة والمشركين ونحوهم، فهؤلاء المخالفين لا يرون حجية للقرآن والسنة، إلا بعد إقامة الأدلة العقلية على الإيمان بالله وأن القرآن كلام الله وأن محمد بن عبد الله هو رسول الله.[1]

ثانيا- علم الكلام:

لا يرى الأشاعرة ضرورة أن يتعلّم المسلمون علم الكلام، خاصةً إن لم تكن هناك فرق مخالفة يحتاج الرد عليها استخدام علم الكلام، وهذا ما كان عليه سلف الأمة من صحابة وتابعين حيث لم تظهر في عصرهم فرق وآراء مخالفة لأهل السنة والجماعة مثل المعتزلة فكان السلف يحذرون من استخدام علم الكلام لغياب الضرورة الداعية إلى ذلك، وهذا بحسب فهم الأشاعرة ولكن بعد أن بدأت تظهر فرق تروّج لآراء تشكك في العقيدة الإسلامية بشكل عام وفي وجود الله وفي عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل خاص، رأى عدد من العلماء ضرورة استخدام علم الكلام لتفنيد هذه الآراء المشككة، وعدم السكوت عنها مخافة أن يسبب عدم الرد على المخالفين فتنة للمسلمين فينجر بعض العوام وراء آراء المشككين، ومن هنا ذهب العديد من الأشاعرة إلى القول بأن تعلّم علم الكلام مطلوب فقط "ممن يغلب عليه الشك ليذهب شكه بما يقرؤه من حجج، أو من يريد أن يدافع عن الإسلام بالحجج الباهرة أو يدل إنسانًا ضلّ سبيله في هذه الحياة، مغترًا ببعض الأقوال التي هي ضد الأديان، فلا بد من إنسان يتفرغ للرد على المشككين الذين يشككون الناس في عقائدهم بالرد عليهم بالأدلة المبطلة لأقوالهم ويستعمل هذا العلم على قدر الحاجة. وأما المطلوب من عامة الناس فهو

[1] صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، **عقائد الأشاعرة**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م، ص 53.

القيام على العقائد الحقة الصحيحة ومعرفتها على سبيل الإجمال، أما التوسع في معرفة أدلة الاعتقاد فليس مطلوبًا من كل الناس".[1]

ثالثا- التأويل الاجمالي(التفويض) و التأويل التفصيلي:

يعرف التأويل عند الأشاعرة بأنه: " حمل اللفظ على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد فيحكم المكلف بأن اللفظ مصروف عن ظاهره قطعا. ثم يؤول اللفظ تأويلا تفصيليا بأن يبين فيه المعنى الذي يظن أنه المقصود من اللفظ " ويقابل هذا المدلول لفظ "التفويض" الذي يعني صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى بأن يقول: الله أعلم بمراده[2]. كما يحدد لفظ التأويل بصرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه – المؤول- موافقا الكتاب و السنة[3].

ويحدد الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك لفظ التأويل بأنه:" صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله"[4].

و هو عند ابن رشد: "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب...".[5]

وهناك عبارة مشهورة عند الأشاعرة وهي: "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم" وذلك للدلالة على غرض كلا الطريقتين، فطريقة السلف – وهي كانت في الغالب التفويض – أسلم، لأنها لا تقوم بتحديد أي معنىً للنص المتشابه، وفوّضت المعنى إلى الله، وبذلك اختار السلف السلامة من الخطأ ثم إن الأشاعرة وصفوا طريقة التأويل – وهي طريقة

[1] سعيد فودة، **الفرق العظيم بين التنزيه والتجسيم ويليه المقتطف في نقد التحف**، دار الرازي ،ط1، عمّان، الأردن، 2004، ص 62.

[2] ابراهيم الباجوري، **شرح جوهرة التوحيد**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1422ه/2002م، ص 149.

[3] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1403ه/1983م، ص 22.

[4] أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، **الحدودي في الأصول الحدود والمواضعات**، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص 146.

5 أبو الوليد بن رشد، **فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تح: محمد عمارة، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر، 1119، ص 97.

المتأخرين – بأنها أعلم وأحكم" لما فيها من مزيد الإيضاح، والردِّ على الخصوم وهي الأرجح، وأما طريقة السلف وهي التفويض فأسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى".[1]

الأشاعرة يرون أن السمة الغالبة في طريقة التعامل مع النصوص المتشابهة في فترة السلف كانت بطريق التفويض مع التنزيه، وهو ما يعده الأشاعرة تأويلا إجماليًا، حيث أنه وبحسب ما يعتقد الأشاعرة، فإن السلف أثناء التفويض يصرفون معنى النص الموهم للتشبيه عن ظاهره وهذا يتفق مع التأويل التفصيلي الذي كان السمة الغالبة عند علماء الخلف دون أن ينفي ذلك وجود من اتبع من علماء الخلف طريقة التفويض مع التنزيه[2]، وقد ذكر العز بن عبد السلام في شرح المشكاة حيث أوضح " أن السلف والخلف متفقان على التأويل، وأن الخلاف بينهما لفظي لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى في المعنى المراد من اللفظ الذي هو غير ظاهره المنزه عنه تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين.. ولو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمانهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك، وقد جاء التأويل التفصيلي عن السلف في بعض المواضع، وجاء عن كثير من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين.. وهذا مما يبين تقاربهما وعدم اختلافهما حقيقة".[3]

رابعا– القضاء والقدر (أفعال العباد):

يرى الأشاعرة أن جميع أفعال البشر تقع تحت حكم الله وإرادته، وأن ما يقع في الكون من الخير والشر الذي يكون مصدر الإنسان منهما، كله من عند الله، ولا احتمال عند أهل السنة الأشاعرة لتعارض إرادة الإنسان مع إرادة الله ولا تعارض فيما فشل من إرادته مع إرادة

[1] برهان الدين ابراهيم بن حسن اللقاني، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، صححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1424ه/2004م، ص 91.

[2]- سعيد فودة، المرجع السابق، ص 36-48.

[3] حمد الخضر الشنقيطي، **استحالة المعيّة بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات**، دار البصائر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008، ص 88.

الله، وإنما أراد الله من الإنسان الإرادة والفشل معًا[1]، وأنه لا شيء في الكون خارج إحاطة إرادة الله، وأن إرادة الله شاملة شمولاً لا تخرج عنه أفعال البشر الاختيارية، ولا إرادتهم الجزئية، ويستدلون على ذلك بالآية القرآنية من سورة الإنسان: " وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله ."[2]

يفترق مذهب الأشاعرة عن مذهب الجبرية في هذه المسألة، في أن الجبرية لا قدرة ولا إرادة ولا فعل عندهم للإنسان أما الأشاعرة فهم يرون أن للإنسان قدرة لكن لا تأثير لهذه القدرة في جنب قدرة الله، وله أفعال لكن الله هو من خلقها، وله إرادة تستند أفعاله إليها، لذا يعدّ الإنسان عند الأشاعرة مختارًا في أفعاله، ويكفي عندهم تسمية أفعاله " أفعالاً اختيارية "، استناد تلك الأفعال إلى إرادته واختياره، وهذه الإرادة والاختيار عند الأشاعرة هي من الله، لذا فإن الأشاعرة يرون بأن مذهبهم مختلف جدًا عن مذهب الجبر في مسألة أفعال العباد.[3]

ويعتبر الأشاعرة أن هذه المسألة هي مسألة علمية مبنيّة على نصوص القرآن والسنة النبوية وقواعد العقل، ولا يُسمع الانتقاد فيها إلا بطريق تلك القواعد والنصوص.[4]

المبحث الثاني: أسس و اثار العقيدة الاشعرية لابن تومرت

المطلب الأول: أسس العقيدة الاشعرية لابن تومرت

جمع ابن تومرت تصورات عقدية مختلفة وظفها في خدمة مشروعه السياسي ولهذا ينتقى من العقائد ما يناسب ذلك المشروع الذي يرتكز ارتكازاً وثيقاً على عقيدته الدينية ومن خلال نظرة في تراث ابن تومرت تبين أن عقيدة ابن تومرت ترتكز على ركائز ثابتة لا جدال فيها وهي: التوحيد، الإمامة، والخروج.

اولا- التوحيد:

تضاربت رؤى التوحيد على اختلاف الديانات السماوية و الفرق الإسلامية مما انجر عنه اختلافات كلامية عقدية كثيرة، التوحيد عند ابن تومرت هو أساس الدين وعمده قائم بالعلم

[1] تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي، **دفع شبه من شبه وتمرد**، تح، الإمام محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، د ت، ص5.

2- الآية 9 من سورة التكوير.

[3] مصطفى صبري، **موقف البشر تحت سلطان القدر**، دار البصائر،ط1، القاهرة، 2008، ص 58-59.

[4] نفسه، ص 26.

بأصوله اختصه ابن تومرت ان جعله اسما لعقيدته " عقيدة التوحيد او المرشدة في التوحيد و سمي اصحابه بالموحدين وأشهر السلاح باسم الجهاد تحت رايته و انتقلت هاته التسمية من بعده للدولة التي وضع أسسها[1]، حضي التوحيد عند بن تومرت فجعله منطلقا استند عليه للتعريض بالمرابطين على انهم ليسوا على التوحيد فرماهم بكل الأوصاف التي تخرجهم من التوحيد، ويركز ابن تومرت في آرائه التوحيدية على مسألة تكاد تكون محور عقيدته، ومنطلق دعوته، ومرتكز اتهامه لخصومه[2]، ولعل اهم ما تتصف به دعوته ما ذكرة في مصنفه اعز ما يطلب ما قاله روجر لي تونرو (ان الميزات الأساسية لتلك العقيدة لا تتصف بالأصالة اطلاقا فصاحب المصنف ابن تومرت يعلن باستمرار وحدة الله تعالى وعدم اتصافه بالصفات الجسمانية .....).[3]

ويؤكد بن تومرت على مسألة تنزيه الله تعالى بقوله العقل يعلم وجود الباري سبحانه والإنسان يعلم وجود خالقه والمخلوق يستحيل أن يكون خالقا، ومنه فالخالق لا يشبه المخلوق[4] وهو ما يبين التأثر بعقيدة الاعتزال التي غالت بالتوحيد على وصف الشرهستاني المعتزلة بقوله فالمعتزلة غلوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات. والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام.

و من هنا يتبين لنا ان التوحيد عند بن تومرت هو أساس الدين و عمده و هو قائم بالعلم بأصول التوحيد.

ثانيا- الإمامة:

" الإمامة " مصطلح اعتبره العلماء على اختلاف مشاربهم من الاهمية للاجتماع الإنساني لحفظ مصالح الرعية وشؤونهم و إقامة حدود الشريعة باعتبارها رياسة عامة في الدين والدنيا وزعامة تتعلق بالخاصة و العامة[5]، وهي مسألة فجرت الخلاف الكلامي والديني في التاريخ الإسلامي واختلفت الامة فيه اختلافا كبيرا واريقت دماء بين المسلمين أكثر ما

[1] ابن تومرت، المصدر السابق، ص 224.
[2] نفسه، ص 224.
[3] روجر لي تونرو، المرجع السابق، ص 32.
[4] ابن تومرت، المصدر السابق، ص214.
[5] الابي سالم، **ضوابط الامامة في الدين**، دار الايمان، الاسكندرية، مصر، 1987، ص 67.

اريقت حول موضوعها[1]، اذ تعتبر من الإشكالات التي واجهت الإسلام في بداية عهده و أول ما احدث الخلاف بين الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، خلاف الامامة اذ ما يسل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سل على الامامة في كل زمان فبين من يرى انها تثبت بالاختيار والاتفاق ومن رأى انها تثبت بالنص والتعين و من اوجبها شرعا ومن يجيبها عقلا[2].

تفرق جمع المسلمين بين هذا وذاك و لكل منهم ما يثبت به صحة قوله وبيان حجته فذهب اهل السنة و الجماعة و الخوارج مع قول انها تثبت بالاختيار و الشورى مع وجود اختلافات بينهم بينما اخذ الشيعة برأي النص و التعيين فاحتكرت الامامة عند الشيعة مكانة رفيعة فكانت شعار الدعوة دينيا و سياسيا و اختص بها ال البيت دون غيرهم فأضفوا على الامام هالة من القداسة الى حد المغالاة بألوهيته واعتقدوا بكونها ركن من اركان الدين و اصل من اصوله مع ملازمة الامامة المهدوية و العصمة على خلاف السنة الذين يرون في الإمامة هي أشرف وأعلى العبادات إذا اقترنت بالعدل و ليست من أصول الدين بل هي من مقتضيات حفظ مصالح الناس[3].

كما يوافق ابن تومرت الشيعة الإمامية في مسألة الإمامة ويجعلها من أركان الدين، فقد قال عن الإمامة: " وهي ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصح قيام الدين والدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمن من الأزمان إلى أن تقوم الساعة.[4]

ثالثا- العصمة والمهدوية:

أخذ ابن تومرت في باب الامامة بقول الشيعة مهيئ لنفسه ادعاؤه العصمة والمهدوية و خدمة لمشروعه السياسي حيث يرى أن الإمام لا يكون إلا معصوما، و ركز بن تومرت على هذه القضية المحورية في دعوته، فمقتضى العصمة أنه لا يراجع وعلى الرعية السمع والطاعة وهو معصوم من الخطأ لأنه ملهم ومهدي من ربه.

[1] الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، 2008، ص 26.
[2] الشهرستاني، المصدر السابق ،ص 13.
[3] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت،1964، ص 205.
[4] ابن تومرت، المصدر السابق، ص229.

يتشارك ابن تومرت الشيعة في الاعتقاد في أصولية الإمامة و انه الإمام المعصوم والمهدي المعلوم، ففي سنة 415 قام ابن تومرت خطيبا في أصحابه وأعلن إليهم أنه المهدي المنتظر في خطبة قصيرة، وتمت مبايعته من قبل انصاره.[1]

وبهذا فهو يقول بأهم المعتقدات الشيعية، وعمل على البسط قولا وكتابة عن هذه المعتقدات فتكلم ابن تومرت عن وجوب الاعتقاد في المهدي المنتظر، وصفات المهدي، وكفر من لم يعتقد به، ووجوب السمع والطاعة له، والأعمال التي يقوم بها، وما يجب له من التعزيز والتوقير، وأن الهجرة إليه واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال، وأن من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة ولا عذر له بوجه من الوجوه ويكفُر من لم يصل إليه ولم يطعه، وعلامة المؤمن وما يجب على المؤمن فعله، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

رابعا- الخروج أو التكفير:

من الثوابت التي اسست لدعوة بن تومرت لقض مضاجع المرابطين و زلزلة كيانهم السياسي وكذا كل من خالفه فكرا ورأيا، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن التكفير كمبدأ خارجي، في إطار المبدأ و الفرقة الاسلامية المعروفة، انما نرمي الى مدى استغلال ابن تومرت لهذا المبدأ كجزء من عقيدة قصد بلوغ غاياته السياسية.

ان تكفير ابن تومرت للمخالفين له ونشر ذلك بين اتباعه من الأسس المهمة لعقيدة بن تومرت، فمن خلال تكفيره للمرابطين، سهل الطريق أمامه للإعلان بأنه هو الامام الشرعي و بالتالي فقتال، المرابطين و استحلال دماءهم و اموالهم جهاد شرعي لإقامة الدين[3] يقول ابن تومرت عن المرابطين الذين خرج عليهم بالسلاح: " فإنهم سعوا في هدم الدين، و إماتة السنة واستعباد الخلق و تمادوا على الفساد في الأرض... و استباحوا أكل أموال الناس بالباطل وأخذ أموال اليتامى والأرامل، تملأوا كلهم على ذلك ".[4]

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 87.
[2] ابن القيطان ،المصدر السابق، ص 81.
[3] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 173.
[4] ابن تومرت، المصدر السابق، ص 407.

على هذا الأساس كان تشريع ابن تومرت لقتال المرابطين على انهم كفرة مجسمة وقد نادى بوجوب ذلك "ليس فقط على الموحدين، بل على المسلمين جميعا مقاتلتهم، ومن لم يقاتلهم و يخرج عن طاعتهم فهو كافر مثلهم ".[1]

وبمقابل ذلك قابل ابن تومرت تعريضه للمرابطين بالمجسمة الواجب قتالهم الى اطلاق تسمية الموحدين على أتباعه، ويمكن لمعنى التوحيد هنا ان ينصرف الى التوظيف السياسي أي ان كل من يخالف ابن تومرت وفكره و أوامره بل كل من خالف طريقته فليس بموحد، وهذا غير معنى التوحيد العقدي الذي يؤمن به المسلمون.[2]

المطلب الثاني: ظهور دعوة ابن تومرت

كانت المغرب والأندلس تخضع لحكم دولة المرابطين، وكانت قبضتها قوية واتجاهها اتجاه سني حيث كان يتولى أمرها آنذاك السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (500-537 هـ) وكان سلفياً ورعاً مجاهداً وهذا ما جعل الطريق صعباً أمام ابن تومرت الذي بدأ ظهوره في بلاد المرابطين، ولهذا جاءت سهامه مسلطة ضد هذه الدولة وسلطانها، فبعد أن وصل إلى المغرب سنة 505هـ بدأ يدعو الناس إليه[3]، ولم يجرؤ في بادئ الأمر على إظهارها للناس صراحة فكان يقوم بالطعن في دولة المرابطين و يتهمهم بالخروج عن الدين و دائما ما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و فرض الجهاد و الاعتقاد بالإمامة، و أنه هو المهدي و اعتبر التوحيد هو أساس الدين الإسلامي[4]، حيث يذكر البيذق[5] -أحد تلاميذ ابن تومرت- أنه نهج هذا الأسلوب في بادئ الأمر، وأنه كان إذا خشي بطشاً خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون.[6]

---

[1] عقيلة غناي، المرجع السابق، ص 203.

[2] مصطفى مغزاوي، **البعد السياسي في انتشار المذهب الاشعري في المشرق الاسلامي و مغربه**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 43.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 4.

[4] البيدق، المصدر السابق، ص 37.

[5] **البيذق:** هو أبو بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيذق (ت ق 6) أحد تلاميذ ابن تومرت وأنصار دعوته، ألف كتاب (أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين) وهذا الكتاب مهم في تاريخ الدولة الموحدية لأن مؤلفه شاهد عيان لكل ما كتب كما أن مؤلفه كشف جوانب غامضة في شخصية ابن تومرت ودعوته.

[6] عبد الحميد النجار، **أخبار المهدي بن تومرت**، المرجع السابق، ص 22.

ظل ابن تومرت مدة عشر سنوات (505-515 هـ) ينتقل بين أقاليم ومدن المغرب الأقصى لعرض دعوته على الناس ونشر أفكاره بينهم فكثر أنصاره ومؤيدوه وذاع صيته بينهم وتعارف الناس به[1]، فأضحى خطره يهدد كيان دولة المرابطين، حينئذ استدعاه السلطان علي بن يوسف وسأله: ما هذا الذي بلغنا عنك؟ فأجابه ابن تومرت في قوة بأنه يطلب الآخرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن هذه مسؤولية الحاكم قبل غيره، ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان علي بن يوسف حين سمع ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم أمر الفقهاء بمناظرته واختباره[2]، فلما ناظروه تبين لهم حقيقة ما يحمله ابن تومرت من آراء ومعتقدات فأوصوا السلطان بسجنه سداً للذريعة ودرءاً للفتنة.

أدرك ابن تومرت بعد ذلك المخاطر التي تهدده من قبل المرابطين، لاسيما أن دعوته قد وصلت إلى مرحلة الظهور والجهر بالأهداف، فقرر الانتقال إلى بلاد السوس مسقط رأسه حيث نزل على قومه وقبيلته مصمودة سنة 515 هـ وذلك لضمان الحماية اللازمة لدعوته.[3]

وفي بلاد السوس أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار فاختار منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته حيث شرع بتدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة ومن خلال تلك الدروس بث أفكاره بين تلاميذه وأخذ يعدهم إعداداً خاصاً، فألف لهم كتاباً سماه كتاب التوحيد بلسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح[4] الصبح[4] ويحتوي هذا الكتاب على معظم أفكار ابن تومرت والأسس العقدية لدعوته ولهذا يذكر ابن أبي زرع أن ابن تومرت قال لتلاميذه: من لا يحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز "[5].

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص174.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 5، ينظر:ابن خلدون، المصدرالسابق، ص 228،ينظر: ابن قنفذ الذهبي ابو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب، **مبادئ الـــدولة الحفصية**، تح: عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 59.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 228، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 100.

[4] ابن القطان، المصدر السابق، ص 46.

[5] ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 177.

يعتبر هذا النجاح الذي حققه ابن تومرت في نشر تعاليمه و كسب قلوب الناس و الكثير من الأتباع دليلا على ذكائه و حنكته و فطنته، و تفقهه الكبير و علمه الواسع، فكل هذه الصفات التي تميز بها عن غيره جعلته محط إقبال و ترحيب لأهل المغرب بين مختلف القبائل.

المطلب الثالث: الأثر الديني لعقيدة ابن تومرت

تكمن قوة عقيدة بن تومرت من حيث انها تأسست من نقطة ضعف خصومه المرابطين المتمثل في ذلك الفراغ العقدي الذي اقام محله عقيدة التوحيد و ذلك حتى يتمكن من فرض نفسه على اتباعه وخصومه كمهدي " و ان الايمان به كمهدي واجب و ان من شك فيه لكافر"[1] مقيما بذلك عقيدته بين المزج ما بين ما هو ديني و ما هو سياسي و ما هو علمي بما هو عملي. و لم يكن في هذا الامر مبتدعا و لكن متبعا فقد كانت " الآراء في الخلفاء و الخلافة تسير مع الآراء في العقائد كأنها مبنى من مباني الاعتقاد الاسلامي ".[2]

برز ابن تومرت في علم الكلام ومسائل العقيدة، فكان متكلماً، متشبعاً بفكر ومناهج الأشاعرة الكلامية يصفه صاحب المعجب قائلاً: كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها[3] ورسالته المرشدة تبين هذا بوضوح وهي عقيدة مختصرة، ألزم عوام البربر بحفظها، مما ساهم في نشر عقيدة الأشعرية في المغرب[4] التي كانت قبل ذلك سنية سلفية وهذا على حد وصف الذهبي وكان ابن تومرت سببا في إدخال و انتشار العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب[5]. و يصفه ابن خلدون بأنه من أدخل الأشعرية إلى المغرب، وإن له في طريقته الأشعرية إمامة

[1] ابن تومرت، المصدر السابق، ص 294.
[2] عبد الله ابراهيم، **الدعاية الموحدية**، مجلة رسالة المغرب، العدد1، المغرب، 1943، ص 2.
[3] المراكشي، المصدر السابق ص 141 .
[4] ابن تيمية ابي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تح: د. يحي بن محمد الهنيدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426 ه، ص 465 و **درء تعارض العقل والنقل**، تح: د محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، ط2، ج4، المملكة العربية السعودية، 1991، ص 38.
[5] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز، **العرش**، تح :محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط2، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2003، ص 166.

وقدم راسخة[1] إلا أن هذه الأشعرية لم تكن خالصة بمزجها بشيء من الخارجية والشيعية حسبما يعلم ذلك بإمعان النظر في أقواله.[2]

اعتبر محمد بن تومرت عالما قبل ان يكون متزعما لحركة اصلاحية وبذلك كان الاصلاح الديني منطلقا لفكرة حركته الدينية التي اعتمدت على تصحيح علمي في العقيـدة والشريعة مؤصلا من علم الاستدلال بالنقل والعقل[3] وحقق بن تومرت بدعوته ما كان يصبو اليه، على تأسيس فهم جديد بين اهل المغرب يقوم على تأويل معتمدا على مذهب الاشعرية والمعتزلة بدل الذي كان شائعا بينهم من الفهم الذي كان يعتمد اغمار النصوص على ظواهرها[4]، بسطت اشعرية ابن تومرت بسيطرتها على كافة مجتمع المغرب الاسلامي فكان له الاثر البارز في ظهور المذهب الاشعري وتطوره، وحققت رسالة بن تومرت التي اسماها بالمرشدة انتصارا للمذهب الاشعري الـذي اصبح نباراسا لكافة منطقة المغرب الإسلامي[5]، و سميت الرسالة التي لا تتعدى الصفحتين لمؤلفها ابن تومرت بالمرشدة كونها تبدأ بعبارة " ارشدنا الله و اياك .... اتسمت هاته الرسالة ببلاغة الاسلوب و بلغة فائقة البيان، مختصرة و جيزة تضمنت مجموعة من المعاني متعلقة بالذات الالهية، كما الف ابن تومرت مؤلفا سمي بأعز ما يطلب كالمرشدة بأول عبارة فيه.

لم يتقبل اهل المغرب عقيدة المهدية و رفضوها جملة وتفصيلا و رفضها حتى امراءها من دولة الموحدين لما اثير حولها من تساؤلات فانحسرت واندثرت الى ان زالت و لم يبقى لها اثر في المغرب الاسلامي[6] بينما انتشرت العقيدة الاشعرية و سيطرت على المجال الديني و المجال الاصولي الفقهي، ويظهر جليا أثر دعوة بن تومرت في شيوع الاعتناء بأصول القران و الحديث، حفظا و دراسة بالشرح و التفصيل فأعاد الناس التواصل مع الاصول من جديد و نشأت بذلك محاولات جادة للتأصيل الفقهي باستنباط الاحكام مباشرة

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 167.
[2] عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص 213.
[3] ألفريد بل، المرجع السابق، ص 279.
[4] سعد زغلول عبد الحميد، **محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1973، ص 37.
[5] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 447.
[6] ا عبد المجيد النجار،المهدي ابن تومرت ،المرجع السابق، ص 20.

من نصوصها[1]، ونشط الحوار بين المذهبين المالكي و الظاهري، فحدثت حركة فقهية وتطورت على مستوى التنظير للاستنباط متمثلا في علم اصول الفقه وعلم مقاصد الشريعة ولا يمكننا انكار اسهامات العالم ابي اسحاق الشاطبي و في هذا المجال حيث ادرجها في كتابه الموافقات.

خلاصة الفصل

لما كانت الأسس الفكرية – العقدية هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال وهي الثوابت العلمية والعملية التي يجزم ويوقن بها المسلم، فقد قام بن تومرت بوضع اسس عقيدته على اساس العقيدة الاشعرية التي وضع اسسها العلمية الامام الحسن الاشعري و الذي جعل من النص الشرعي منطلقا يعضده بالأدلة العقلية و البرهانية، فمنها استقى ابن تومرت ركائزه دعوته التي قوامها ثلاث مرجعيات أساسية هي: اعتبار التوحيد الاساس الذي يبنى عليه الدين و الاعتقاد بالإمامة وظهور المهدي و تكفير كل مخاليفه معتمدا على عدة اراء بفعل التنوع العلمي، اذ استطاع ان يتحصل على علوم متنوعة تجمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، و المتمعن في اشعريته لا يجدها تقوم على وحدة مذهبية بل اقتبست من عدة مذاهب ما كان اكثر ملائمة لأغراضه الاصلاحية: الاشعرية و الظاهرية، المعتزلة و الشيعية الامامية.

سعى ابن تومرت أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر اينما حل وارتحل في ارجاء دولة المرابطين مستغلاً تناقضات الحكم المرابطي، ونقاط ضعف عقيدة فقهائهم فناظرهم وابهرهم بغزارة علمه وقوة حجته فجمع حوله الاتباع و دانت اليه الرقاب فأضحى ينازع المرابطين في حكمهم فبعد ان احس الخطر حوله لجأ الى عصبته في بلاد السوس و جهر بدعوته والى ما ينوي اليه فوضع اسس دولته ورتّب أتباعه وحرص على اعدادهم اعداد محكما، ليتسنى له مجابهة غرمائه المرابطين وينازعهم في حكمهم.

كان لهاته الدعوة الاثر البارز على المغرب الاسلامي فأقبل علماء المغرب على تعاطي المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسًا وتأليفًا.

[1] عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 217-219.

الفصل الثالث: دولة ابن تومرت الأشعرية

- **المبحث الأول:** الدعوة السياسية وتنظيماتها
- **المطلب الأول:** استغلال الدعوة لتأسيس الدولة .
- **المطلب الثاني:** إعداد التنظيمات لاستلام السلطة
- **المبحث الثاني:** تمام الدعوة وقيام الدولة
- **المطلب الأول:** عبد المؤمن الكومي خليفة لابن تومرت
- **المطلب الثاني:** سيادة الدولة واخضاع بلاد المغرب

كان لابن تومرت مهارات وملكات مختلفة وظفها إلى جانب العقيدة، فقد لبس لباس الزهد وتحكم في مهارات اللغة والاتصال والدعاية، واختيار الزمان والمكان والعنصر البشري، وهي كلها عناصر ساهمت في تحقيق ابن تومرت لهدفه السياسي.

توجت الدعوة الموحدية التي صاغها المهدي بن تومرت بقيام الدولة التي حملت إسمها وقد تولى عبد المؤمن بن علي الخلافة ثم تداولها أولاده من بعده، وباعتبار أن فكرة المهدوية كانت الأساس الذي قامت عليه الدولة بفضل ما زرعته من أمل في نفوس الناس و اشعال حماسهم للثورة على الدولة المرابطية وتغيير الأوضاع.

المبحث الأول: الدعوة السياسية وتنظيماتها

المطلب الأول: استغلال الدعوة لتأسيس الدولة

اولا: ادعائه المهدوية

لم يكن بين فقهاء المرابطين من استطاع أن يقدر براعة ابن تومرت وتبحره في علوم الدين سوى فقيه أندلسي هو- مالك بن وهيب الاشبيلي- الذي كان من كبار العلماء والأدباء، فنبه الأمير إلى خطورة ابن تومرت وتعاليمه قائلا له:« هذا رجل لا يفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه يبغي تضليل العامة، وإثارة الفتنة والوصول إلى السلطان ». وأشار عليه بقتله ولما رفض الأمير ذلك أشار عليه بسجنه حتى يموت؛ لكن الأمير رفض كذلك وقال له: « علام نأخذ رجلا من المسلمين نسجنه ولم يتعين لنا عليه حق؟، وهل السجن إلا أخو القتل؟ ولكن نأمره أن يخرج عنا من البلد وليتوجه حيث شاء»[1].

فخرج ابن تومرت وصحبه من مراكش وأقام في خيمة بالجنانة القريبة من المدينة، وانهال الناس والطلاب عليه فكثر أتباعه ومريدوه، وعندئذ أخذ يتهم المرابطين بالتجسيم ويحثهم على قتالهم لأن قتالهم واجب على كل مومن حسب اعتقاده، فبلغ الأمير علي بن يوسف ذلك وتبين له صحة ما قاله له الفقيه مالك بن وهيب من خطورة الرجل ودعوته، فعزم على

[1] حمدي عبد المنعم، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 1997، ص97.

قتله وأرسل من يأتيه برأسه، فسمع بذلك أحد تلامذته فأتاه مسرعاً بالقرب من خيمته ونادى بأعلى صوته: (يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج إني لك من الناصحين). وكرر النداء ثلاثة مرات ثم سكت، ففطن ابن تومرت لندائه و بادر بالخروج متخفياً إلى أغمات.[1]

ونزل ضيفا على الفقيه المصمودي- عبد الحق إبراهيم-، فلما أخبره ابن تومرت بمقصده وما جرى له مع أمير المسلمين وفقهاء المرابطين، نصحه عبد الحق بترك أغمات والتوجه إلى تينملل؛ لأنها الأكثر حصانة ومنعة، فلما سمع ابن تومرت بهذا الاسم تذكر اسم هذا الموضع في كتاب الجفر الذي كان قد طالعه، ويتعلق بعلوم أهل البيت، ورأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى الله يكون[2] مقامه ومدفنه بموضع من المغرب اسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل)[3] فعزم ابن تومرت على قصده.

وواصل مسيرته إلى بلاد السوس فوصل إلى جبل- إيجليز- من بلاد هرغة موطن قومه وعشيرته، فلما استوثق من قبيلته ومنعة موضعه اعتزم أن يعلن عن إمامته، وفي اليوم الخامس عشر من رمضان من سنة(515هـ/1121م) قام خطيباً في أصحابه وأعلن أنه المهدي المنتظر الذي بشربه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،[4] ولما فرغ من خطبته جلس في ظل شجرة خروب ليتلقى البيعة من أصحابه، فهرع عشرة من أخلص أصحابه وباعوه على أنه المهدي المنتظر والمعصوم وكان أولهم عبد المؤمن بن علي، وقد أطلق على هؤلاء العشرة اسم أهل الجماعة، ثم بايعه من بعدهم خمسون رجل فسموا أهل الخمسين، ومن بعدهم سبعون فسماهم أهل السبعين.[5]

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص133.
[2] حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص98.
[3] ابن خلكان، المصدر السابق، ص48.
[4] ابن القطان، المصدر السابق، ص88-89.
[5] حول أصحاب المهدي العشرة ينظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص83-82،ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص114-113.

وقد أطلق ابن تومرت على أتباعه تسمية الموحدين إشارة إلى أنهم هم الذين يوحدون الله حقاً ويفسر ابن خلدون اتخاذه لهذا الاسم تعريضاً بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم[1]، ولتسميتهم لأتباعه بالخوارج والمبتدعة، وأحل قتالهم باعتبارهم حسب رأيه غير موحدين، وذلك عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلواً الذين يلونكم من الكفار وليجدواً فيكم غلظة واغلمواً أن الله مع المتقين﴾[2]. وأطلق عليهم اسم الزراجنة تشبيها لهم بطائر أسود البطن، أبيض الريش، يقال له (الزرجان)؛ لأنهم بيض الثياب، سود القلوب حسبه. وبلغت طاعة الموحدين للمهدي إلى حد أنه إذا أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء.[3]

استطاع بذكائه وقدرته وبعد نظره أن يسيطر على مجموعات قبائل مصمودة الكثيرة العدد واستطاع بواسطة هذه القبائل أن يحارب المرابطين وكأنهم كفرة مارقون عن الدين، ومن أخطاء المرابطين التي أحسن ابن تومرت استغلالها لصالح دعوته كذلك قضية إحراق كتاب الإحياء للغزالي أحسن استغلال وجعلها قميص عثمان، فهاجم المرابطين والفقهاء.[4]

ثانيا ـ الطعن في الاعداء:

إن الضجة التي افتعلها ابن تومرت ضد المرابطين بسبب حرق كتب الغزالي كانت مجرد ستار؛ فهو لم يعمل بآراء الغزالي ولم ينتفع بما؛ بل كان مخالفاً لها على طول الخط، فمبدأ الاجتهاد الذي يعلق عليه الغزالي أهمية كبيرة في استنباط الأحكام، والذي يتفق عليه أئمة المذاهب السنية ينكره ابن تومرت كمصدر من مصادر الشريعة ومعارضته أيضا لجهود المجتهدين في تجديد الشريعة؛ لأنه يتشح بثوب الإمام المعصوم الذي لا تبحث أراءه ولا تناقش أحكامه، و نظرية الإمام المعصوم من أكثر ما عارضه عليها الغزالي و سخر منه[5].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص229،ينظر:حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص100.
[2] سورة التوبة، الآية: 3-12.
[3] عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص137.ينظر:حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص100.
[4] عبد اللطيف عصمت دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومشمل الموحدين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص37.
[5] عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 39-40.

اتهم المرابطين بالكفر وقال: « إن من يؤيدهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض »[1]، كما اتهم ابن تومرت جميع من أيد المرابطين بعرض من الدنيا، يصبح أحدهم مؤمناً ويمسي كافراً يبيع أحدهم دينه بدنيا غيره»؛ بل رماهم بالارتداد عن الدين والتبديل والتغير، وذهب إلى أدنى من ذلك فوصف المرابطين بلفظ الزراجنة مثلما رأينا وسماهم أيضا المجسمين؛ لأنه ألزمهم في المذاكرة (أي في الدعوة وتذكير الناس بفضائل الموحدين ونقائص المرابطين)، أنهم يقولون بالتجسيم والمكان، ويسمون بالحشم للثامهم كما يفعل النساء المحتشمات.[2]

ولا يعقل أن ابن تومرت كان جاهلا بأن اللثام تقليد من تقاليد صنهاجة الصحراء، فكيف يسوغ أن يتخذ منه وسيلة للنيل من المرابطين والحط من شرفهم وشبههم بالنساء، ولا يكتفي ابن تومرت بذلك؛ بل يمضي فيتهم المرابطين بأنهم كفار طاعتهم حرام، ومنافقون ومتبعون للهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون، ثم يدعو إلى قتالهم على اعتبار أنهم كفار، وقد وظف آيات قرآنية وأحاديث في تحريم طاعة الكفار، ويسمي حربهم جهاد ويقول:« فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل، فحق على المسلمين جهاده حتى يأخذوها منه فكيف بمن منع الإيمان والدين والسنة»[3].

ولم تكن هي تلك المآخذ الوحيدة لابن تومرت على المرابطين؛ إلا أن أشدها في رأيه وهو مسألة التجسيم؛ أي جعل لله تعالى صفات جسمانية، وكان منشأ ذلك الخطأ في نظر ابن تومرت أن فقهاء المغرب في عهد المرابطين خلافاً لزملائهم في المشرق الذين بلغوا في ذلك الوقت من التطور غايته فيما يتعلق بعلم الكلام، ومع ذلك ظلوا يلتزمون في الآيات القرآنية التي فيها ذكر لصفات الله النص الحرفي لها فيما يفضي إلى التجسيم للذات الإلهية وإلى إثبات صفات جسمانية لله تعالى، والمعلوم هو أن فقهاء المرابطين لم يثبت عنهم مسألة التجسيم، وقد كان ابن تومرت وراء هذه التهمة للمرابطين رداً على اتهام المرابطين لأتباعه من الموحدين وتسميتهم بالخوارج. واستغل ابن تومرت كل هذه المآخذ عن حكم المرابطين

[1] عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين و الموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، مصر، 1997، ص81.
[2] ابن القطان، المصدر السابق، ص97،ينظر:عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين...**، المصدر السابق، ص81.
[3] نفسه، ص98-99، ينظر: عبد الواحد المراكشي، **نفسه**،ص82.

وأخذ يشيع دعوته بين القبائل، فالتف حوله عدد كبير من الأتباع خاصة من قبائل المصامدة[1].

السلطة ورجالها، وكان مغامراً يطلب الكثير ويهون عنده الكثير في سبيل ذلك، فمضى يقول كلاماً يرمي من ورائه إلى إثارة غضب رجال الدولة حتى يتعرضوا له بالحبس والأذى والإخراج من البلاد، فيزداد صيته ويكثر جمعه؛ لأن الناس آنذاك يستهويهم أمثاله، ويسرهم أن يجدوا شخصاً يتحدى الحكومة ورجالها، سواء كان على حق أم على باطل؛ لأن مهما كانت الفكرة التي في أذهانهم أن رجال الحكومة دائماً على باطل، وأي ناقد لهم يكون على صواب[2]. لقد سلك في سبيل هذا الأمر مسالك شتى ابتدأها بإيراد جملة من الأحاديث تفيد أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وجملة أخرى تبين علامات الطائفة التي ستكون على يدها غربة الإسلام ليخلص آخر الأمر إلى الإعلان بأن هذه الطائفة هي طائفة المرابطين لانطباق العلامات عليها، فهي الزائغة عن الحق، البعيدة عن الطريق الإسلامي الصحيح.[3]

المطلب الثاني: اعداد التنظيمات لاستلام السلطة

اولا ـ تنظيمه لأصحابه:

لقد استطاع أن يجمع العديد من الأتباع في منطقة المغرب الإسلامي، كما انه تكاثرت عليه مختلف القبائل، وبالتالي عمل المهدي على وضع تنظيم يساعده على التحكم فيهم وتفرقتهم بين المحبين والمؤيدين لدعوته والذين لا يزالون يشككون به، وهذا قصد تسهيل مهمة مراقبتهم والسيطرة عليهم، حيث وضع العديد من التنظيمات منها الهيئات الأساسية، نظم ابن تومرت أتباعه فقسمهم إلى أربع عشرة طبقة، كانت الطبقات الثلاث الأولى أهم هذه الطبقات من حيث انتماء أكبر رجال الموحدين إليها من مشايخ القبائل وزعماء المصامدة وكبار الشخصيات الذين تتوفر فيهم الكفاءات العقلية والقدرات العسكرية، وكانت

[1] عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص134.
[2] عبد الواحد المراكشي، **وثائق المرابطين..**، المصدر السابق، ص73.
[3] ابن تومرت، المصدر السابق، ص 258.

أهم واجبات هذه الطبقات هي معالجة أمور الموحدين وتسيير دفة الحكم، أما الطبقات الأخرى فكانت واجباتها عسكرية وعلمية ودينية[1]. وقد قسمت هذه الأجهزة كالآتي:

– **الجهاز الأول:** جهاز سياسي ويشتمل على المجالس الثلاث المتقدمة وهي: مجلس العشرة مجلس الخمسين، ومجلس السبعين.

– **الجهاز الثاني:** جهاز علمي ثقافي ويشتمل على طبقة الطلبة، وهم الذين بلغوا درجة مرموقة من العلم وطبقة الحفّاظ وهم صغار الطلبة.

– **الجهاز الثالث:** جهاز عسكري ويشتمل على طبقة الجند وطبقة الرماة والغزاة.

– **الجهاز الرابع:** جهاز شعبي، يظم مجموعة القبائل: هرغة، وأهل تنميل وجنفيسة وهنتاتة وأهل القبائل.[2]

لقد أعطيت السلطات الهامة للجهاز الأول حيث كان يمثل دورين أساسين هما:

– **الأول:** المحافظة على الأنصار وضمان تبعيتهم وامتثالهم، ولهذا كانت تركيبتهما من مختلف القبائل، وكان أفرادها قد منحت لهم العزة والاحترام والتقدير الذي رفعهم عن بقية الأتباع.

– **الثاني:** إبداء الرأي في سياسة الجماعة الجديدة والمداولة على مشاكلهم، وذلك في ترتيب تنازلي حسب أهمية المشكلة المطروحة، ويلحق بهذه المجالس السابقة أهل الدار وهم مختصون بخدمة المهدي والقيام على شؤونه في كل الأوقات.[3]

أظهر ابن تومرت في منهجه طريقة ملكه وتنظيماته الكبرى، كما انه أحكم قبضته على أنصاره، فأعطى مجلس العشرة سلطانا كبيرا وحكّ مهم في الناس، وجعل مجلس الخمسين كلهم رؤساء القبائل، وسيطر بواسطتهم على القبائل وجعل الجميع عيونا له بعضهم على بعض يوافونه بكل صغيرة وكبيرة مما يقع حوله أو يصلهم من أنباء، مما جعل ابن تورمت

[1] عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثرها بالمغرب**، المرجع السابق، ص 441.
[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص52.
[3] الصلابي، المرجع السابق، ص 54.

مطلعا على أمور مجتمعه الجديد، وأصبح مطاعا ومرغوبا في جماعة كبيرة من المصامدة تطيعه طاعة عمياء حقا، وتخاف منه خوفا شديدا.[1]

ثانيا ـ التعبئة والحملة الإعلامية:

كانت مهمة المهدي بن تومرت صعبة جدا، حيث انه استهدف دولة عرفت بجهادها في الصحراء الكبرى وفي الاندلس، وكان لها الفضل بعد الله في توحيد المغرب الأقصى من الأندلس، واشتهر حكمها بالصلاح والعدل والجهاد وحب الخير لعموم الأمة، ولذلك حرص على تعبئة الأنصار وإقناعهم أنهم على درب الحق، وأن خصمهم على درب الباطل.[2]

بذل المهدي جهدا كبيرا في تهيئة النفوس لتقبل دعوته والتحمس لتحملها والقيام بنشرها، وذلك بتنظيم حملة إعلامية واسعة تهدف إلى التأثير النفسي ببث القوة والاعتزاز في نفوس أصحابه والضعف والانخذال في نفوس أعدائه من المرابطين وأتباعهم، وكانت هذه الحملة[3] تعتمد على عنصرين أساسين:

أ- غرس الثقة والاعتزاز بالنفس:

كان لابد أن يؤمن أتباع المهدي إيمانا عميقا بأنهم على الحق الذي يقودهم إلى الفلاح في الحال والمآل، حتى يعطيهم هذا الإيمان الدافع لصيانة الجماعة ومقاتلة أعدائها.

حرص ابن تومرت على رد كل ما يقع في نفوس أصحابه من الوهن من طعون المرابطين الموجهة إلى هذه الدعوة التي أصبحوا من أنصارها، فكان لا يكل ولا يمل من تنفيذ كل ما وجهه إليه المرابطون من حملة مضادة ضد دعوته الدينية، وفي سبيل ذلك جعل يذكر لهم مجموعة من الأحاديث النبوية في الطائفة التي تقاتل على الحق وتقوم في آخر الزمان، وإنها تكون في المغرب.[4]

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 9.
[2] المراكشي، **المعجب**، المصدر السابق، ص 331.
[3] عبد المجيد النجار، **المهدي ابن تومرت**، المرجع السابق، ص 118.
[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 181.

لقد استطاع ابن تومرت أن يقنع أتباعه وأنصاره بأنهم الطائفة المنصورة، والتي تقيم أمر الله وتجاهد في سبيله وشحن بذلك النفوس وأقنع العقول، وأخذ خطوة أخرى لتعزيز مكانته وبسط هيمنته على أتباعه وزعم أنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم[1].

ب- الثقة بالإمام:

حرص ابن تومرت، على الظهور بمظهر: الاستقامة، والتدين، والإخلاص. فزهد في متاع الدنيا: من مأكل، وملبس، ومسكن. ثم جعل ثقة أنصاره به، ذات اتجاه عقدي، بحيث تمنع نفوس الأتباع من الضعف والتراجع، أمام أوامره وتوجيهاته، وبذلك استطاع أن يرسخ ثقة أتباعه به، وأن يضمن ولاءهم الدائم، وطاعتهم المطلقة، ولم ينسى أن يحرك نفوس الصامدة، للتطلع إلى إنشاء دولة لهم، فهم معظم سكان المغرب الأقصى، وهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد، تمتد من شمال المغرب الأقصى إلى جنوبه، ولا ينقصها إلا توحيد الصفوف، والقيادة السليمة وأقنعهم بأنه القيادة المثلى لهذه القبائل.[2] ولما تشبعت النفوس بمعنى الجهاد وتاقت إلى مقاتلة المرابطين مع إيمان راسخ بأن ذلك موقف حق واستعداد كبير للطاعة والتضحية، قرر المهدي أن ينتقل إلى مرحلة الهجوم على حماك مراكش وأتباعهم للقضاء على دولتهم، وافتكاك السلطة منهم.

المبحث الثاني: تمام الدعوة وقيام الدولة

المطلب الأول: عبد المؤمن الكومي خليفة لابن تومرت

اولا ـ بداية المناوشات العسكرية:

وبعد أن نظم ابن تومرت، صفوفه وأحكم تنظيمه، أصدر إنذاره وتهديده إلى المرابطين: (قد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا، من تقوى الله العظيم، ولزوم طاعته، وأن الدنيا مخلوقة للفناء والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق، فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فأستعين بالله على قتالكم...). وكما بذل ابن تومرت، جهده في إعداد

[1] عبد المجيد النجار، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي**، المرجع السابق، ص 117-118.
[2] علي محمد الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي**، المرجع السابق، ص 84.

أصحابه إعداداً عقدياً كان يعد العدة المادية، فكان يجمع المقاتلين، متخيراً الأقوياء الصادقين، وتخلص من كل من شك فيه.[1]

عندما لاح نذير الخطر لعلي بن يوسف – أمير المرابطين – وأحس أن الحصون التي ابتناها أبوه، لم تحقق الغرض المنشود، وأنها من القلة، بحيث لم تحل دون وثوب الفتنة في صفوف المصامدة. فروى المؤرخون، أنه استعان ببعض الأندلسيين، في إقامة سلسلة أخرى من هذه القلاع الحصينة، أو بمعنى أدق، إقامة خط دفاع، يوقف هذه القبائل العاصية عند حدها ويمحق خطرها الوليد، في وقت كانت فيه كل جهود الدولة، منصرفة لمعركة الجهاد في الأندلس، والتي جندت في سبيلها كل مرافق البلاد. يتضح ذلك كله من قول البيذق، الذي أرخ لبواكير حركة الموحدين: (أخذ المجسمون الحصون وبنوها، في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات، لكي ينتصروا بها على الموحدين). وكانت هذه القلاع تبنى من الحجر، في مناطق وعرة، لا يستطاع التطرق إليها في يسر وسهولة، فتصبح كأنها أبراج مراقبة، وكان المرابطون، يشحنون هذه الحصون بالأقوات حتى تصمد للحصار مدة طويلة، وكانوا يعهدون بالدفاع عنها لأحد قواد لمتونه، تعاونه قوة تتألف في الغالب من مائتي فارس وخمسمائة راجل.[2]

أرسل علي بن يوسف إلى والي السوس، أبو بكر بن محمد اللمتوني، يأمره بالخروج لإطفاء الفتنة فخرج أبو بكر، بجيش كبير، تمكن الموحدون من دحره، وذلك في شعبان من عام516هـ /1133م، فكان النصر العسكري الأول للموحدين ضد المرابطين. لكن أمير المرابطين علي بن يوسف، أرسل بعد هذه الهزيمة، جيشين آخرين لقتال ابن تومرت، لكنها منيت بالهزيمة أيضاً فكانت نكبة جديدة للمرابطين؛ وعندئذ بدى لأمير المرابطين، أن المسألة ليست فتنة داخلية، بل أن أمر ابن تومرت، أخطر من ذلك، وأن محاربة الموحدين، أضحت بالنسبة لدولة المرابطين، معركة حياة أو موت.[3]

[1] نفسه، ص 85.
[2] حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين- صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1996، ص 348.
[3] خليل إبراهيم السامرائي اخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، ط1، د ت، ص 288.

ويعدد لنا أبو بكر الصنهاجي، المعروف بالبيذق، المعارك التي حدثت بين المرابطين والموحدين، فيقول أنها بلغت ثمان غزوات متوالية، الأمر الذي أتاح للموحدين، أن يبسطوا سيطرتهم المطلقة على منطقة السوس. وفي سنة 518هـ، سار محمد بن تومرت، بقواته نحو منطقة تينملل الصغيرة، التي تقع فوق ربوة عالية، في سفح جبل درن، وهو أحد شعاب جبال الأطلس، المشرفة على مراكش بمسافة لأتزيد عن المائة كيلو متر، واتخذها داراً ومعسكراً وقاعدة للانطلاق، ومن هناك، بدأ يرقب تحركات المرابطين عن كثب، حتى سنة 520هـ.[1]

لم تكن هذه الغزوات، سوى اشتباكات خفيفة، مع بعض القبائل الموالية للمرابطين، وقد انتصر الموحدون في معظمها، وفي سنة 517هـ، نجح الموحدون بقيادة عبدالرحمن بن زجو في الاستيلاء على قلعة تاسفيموت، وكانت من أعظم قلاع المرابطين، وحملت أبوابها إلى تينملل وفي سنة 518هـ، أخضع الموحدون، بلاد ماغوسة، وهناية، على وادي نفيس، وفي سنة 521هـ، بعث ابن تومرت، عبد المؤمن بن علي، إلى جزولة، وهي أول غزوة تقاتل فيها مع تاشفين بن علي بن يوسف.[2]

وفي عام 520هـ /1126م، قاد جيش الموحدين، أبو محمد البشير الونشريشي، أحد أصحاب ابن تومرت، العشرة والمخلصين له، وهاجم أراضي المرابطين، فانهزمت القوات المرابطية أمامه ووصل الموحدون إلى أسوار مدينة مراكش، ثم أرتد قائدهم أبو محمد البشير، عائداً إلى الجبل وعندها أمر – علي بن يوسف – بالأخذ بكافة الاحتياطات، من أجل اتقاء حرب المفاجأة، التي درج عليها الموحدون، وإزاء هذا الوضع، أصبحت مراكش عاصمة الدول المرابطية، في خطر مستمر، أمام هجمات الموحدين، وعليه لا بد للمرابطين إذا أرادوا البقاء والاستمرار في الحكم أن يضعوا حداً لمثل هذه الأخطار، فتهيأ المرابطين لدفع الخطر عن مراكش، ومحاولة الانقضاض على الموحدين، بتعبئة عسكرية كبيرة أولاً، ومراسلة ابن تومرت، بالكف عن سفك الدماء، وإثارة الفتنة ثانياً، ولكن هذه الرسالة لم تلق

[1] محمد سوادي، صالح عمار الحاج، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري، القاهرة، 2004، ص 163.
[2] السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير- العصر الاسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987، ص 693.

أذناً صاغية لدى محمد بن تومرت، الذي من جانبه جمع أتباعه وأعوانه، وهيأهم إلى معركة حاسمة ضد المرابطين.[1]

ثانيا ـ موادعة المهدي و استخلاف عبد المؤمن:

لقد تأهب محمد بن تومرت، للمعركة الفاصلة، وجمع أنصاره وعساكره، ووجه إليهم رسالة يحثهم فيها بإنهاء المرابطين، وجعل قائديه المعتمدين: أبا محمد البشير، وعبد المؤمن بن علي في مقدمة جيوشه، وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمرابطين في البداية، إلا أن الموحدين لم يستطيعوا أن يدخلوا مراكش، مما جعلهم يعبئون لمعركة أخرى، زادوا فيها ضغوطهم، وهزموا المرابطين، ثم زحفوا نحو مراكش، ورابطوا أمام أسوارها وأبوابها، واستمروا في حصارها، وبدأت المناوشات بين الطرفين، كان المرابطون يهزمون فيها في كل مرة، ومع ذلك فأن الموحدين لم يستطيعوا أن يصنعوا نهاية للمرابطين، الذين استنفروا سائر أمراء القبائل المغربية الموالية لهم فساروا إليه بقواتهم.[2]

كان الموحدون يعسكرون في موضع اسمه البحيرة، يقع في ظاهر مراكش، فخرجت إليهم جيوش المرابطين بقيادة الزبير بن علي بن يوسف، من باب إيلان، ونزل المرابطون قريباً من معسكر الموحدين، فدعاهم عبد المؤمن، إلى دعوة ابن تومرت، وحاول قائد المرابطين أن يحذر عبد المؤمن، من عاقبة مفارقة الجماعة، وينهاه عن الفتنة، فزاده ذلك طمعاً في المرابطين وأشتبك الجيشان في معركة ضارة وذلك سنة 524هـ، انتهت بهزيمة الموحدين، وقتل منهم عدد كبير، من بينهم: أبو عبدالله الونشريشي، وسليمان أحضري، وأبو عمران موسى الجدميوي، وأبو يحي بن يجيت، وأبو عبدالله محمد بن سليمان، وكلهم من أهل العشرة، ونجا عبد المؤمن بن علي في نفر من أصحابه، وقد أصيب بجرح عميق في فخذه الأيمن، فلما وصل الخبر إلى ابن تومرت، قال: (أليس قد نجا عبد المؤمن، قالوا: نعم. قال: لم يُفقد أحد).[3]

[1] خليل إبراهيم السامرائي، المرجع السابق، ص 289.
[2] نفسه، ص289.
[3] علي محمد الصلابي، **صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي**، المرجع السابق، ص 87.

أحس ابن تومرت، بالمرض بعد أربعة أشهر من وقيعة المرابطين، بالموحدين في البحيرة فدخل داره بتينملل، ولم يخرج منها إلا إلى قبره، في المسجد الملاصق لداره، حيث دفن به سراً في 29 رمضان 524هـ، وأخفي نبأ وفاته ثلاث سنوات.

وقد استمر ابن تومرت على نهجه الدعوي حتى قبل وفاته، فنجده يخطب في أتباعه بحثهم على الصبر والثبات ضارباً بسيرة الرسول الكريم _صلى الله عليه و سلم_ والصحابة من بعده _ رضى الله عنهم_ مثالا في ذلك ويعدهم بالنصر المؤزر على أعدائهم المرابطين، والذي لن يكون إلا باجتماع كلمتهم على رجل واحد وهو عبد المؤمن بن علي.[1]

وهكذا توفى محمد بن تومرت بعد أن وضع أسس الدولة وأحكم أمورها ووضع كافة تدابيرها ليملي عبد المؤمن بن على ويستكمل باقي مسيرته، اختلفت الآراء حول خلافة عبدا لمؤمن بن علي الموحدي، فمن الآراء من ينسب إلى محمد بن تومرت، ترشيح عبد المؤمن، للخلافة قبيل وفاة ابن تومرت، بقليل مثل رأي ابن القطان. ومنها ما يؤكد أن عبد المؤمن، بويع بخلافة الموحدين في سنة 524هـ / 1129م بيعة خاصة، وذلك عقب وفاة ابن تومرت، مباشرة، وان البيعة العامة لم تتم إلا في عام 527هـ / 1132م[2]، وكانت هذه البيعة بجامع تينملل بعد صلاة الجمعة فأقام عبد المؤمن بتينملل يتألف القلوب ويحسن إلى الناس، وعمل على إعادة الثقة إلى النفوس بعد أن أثرت هزيمة الموحدين في معركة البحيرة ووفاة المهدي بعدها في الروح المعنوية مما أدى إلى ارتداد بعض القبائل، على أننا نأخذ برواية البيذق، التي تؤكد أن ابن تومرت توفي في الأربعاء أو الخميس الخامس والعشرين من رمضان 524هـ /1129م، فبويع عبد المؤمن بن علي، في السبت الأقرب من هذا التاريخ، وان هذه البيعة استمرت ثلاثة أيام متوالية، وهي البيعة الصغرى أو الخاصة.

[1] نفسه، ص89.
[2] لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص271.

أما البيعة العامة، فيذكرانها تمت في عشرين ربيع الأول من سنة 526هـ /1131م وهناك من المؤرخين من يأخذ بالرأي القائل: بأن ابن تومرت، أوصى بخلافة عبد المؤمن قبيل وفاته، ومنهم عبدالواحد المراكشي.[1]

المطلب الثاني: سيادة الدولة و اخضاع بلاد المغرب

ويمثل تولي عبد المؤمن، أمر الموحدين، مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين المرابطين والموحدين، وبداية تحول في تاريخ الموحدين، فقد استطاع عبد المؤمن، أن يضع الأساس المتين لدولة الموحدين، فقد قضى عاماً ونصف العام، بعد توليه خلافة محمد بن تومرت، ينظم شئون الموحدين، ويحشدهم ويستنفرهم لقتال المرابطين.

وقد عبأ سنه 526هـ جيشاً جراراً، وسار به لمنازلة المرابطين، فأخضع أغلب أقاليم دولة المرابطين لسلطته، وذلك خلال السنوات من 526-540هـ، حيث جرت معارك محلية بينهما كان النصر فيها دائماً للموحدين، وفي نهاية عام 540هـ، لم يكن ثمة شك، في انهيار دولة المرابطين وسلطاتهم في المغربين الأوسط والادنى.[2]

اولا ـ ضم قبائل المغرب الاقصى:

باشر الموحدون حروبهم ومع أول انتصار أخذ الناس يفدون عليه فأخضع المرتدين[3] ارتحل عبد المؤمن بجيوشه نحو مراكش وذلك في شوال سنة 526هـ/ 1132م وقاتلها أياما، ثم ارتحل إلى تادلة، ثم سار إلى درعة ففتحها، ثم ارتحل إلى مدينة سلا ففتحها ودخلها يوم 24 ذي الحجة 526هـ/ 1132م وفي سنة527هـ /1133م فتح بلاد تازة وفي العام الذي بعده تلقب بأمير المؤمنين وفي سنة 530هـ/ 1136م.

وبعد ذلك فكر عبد المؤمن بن علي في إتباع استراتيجية حربية من أجل توسيع نفوذه وتوطيد سلطته في أنحاء سلاسل جبال المغرب الأقصى وتجنب مواجهة المرابطين لبعض

[1] سحر السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ بطليموس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، ج2، الإسكندرية، 2002م، ص 189.
[2] سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج، المرجع السابق، ص 165.
[3] عز الدين عمرو موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، د.ج. د، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص41.

الوقت، في حين محاولة كسب المزيد من الأنصار لعقيدة الموحدين، وقد اقتضت استراتيجيته مغادرة تينملل سنة 535هـ / 1142م باعتبارها عاصمة صغيرة جدا.[1]

وبعد مغادرة عبد المؤمن لتينملل وبلوغه درجة معقولة من القوة شرع في الهجوم على المرابطين حيث سيطر على مختلف القلاع والحصون المرابطية، وقد تعددت الوقائع بين الطرفين الموحدي والمرابطي.[2]

وقد عمل عبد المؤمن دائما على مفاجأة المرابطين في الأماكن الضيقة واللحظات الحرجة وكان عبد المؤمن يختار البقاء في الجبال مخافة أن يستعين أعداؤه بقوة كبيرة ويقومون بتطويقه في السهل كما أن قوته من الفرسان كانت ضئيلة مقارنة مع فرسان المرابطين، ورغم ذلك استطاع عبد المؤمن وهو في الجبال أن يتنقل بين فاس وتلمسان ويلحق الخسائر بالمرابطين وبدأ الناس يتركون مناصرة المرابطين ويتبعون عبد المؤمن بن علي لما كان له من أسلوب إقناع وهو يتنقل بين القبائل في الجبال إلى أن وصل إلى جبال غمارة.[3]

ثانيا ـ ضم تلمسان ووهران:

لم ينجح المرابطون في اختراق صفوف الموحدين؛ بل استنفذوا قواهم في تلك الهجمات دون جدوى فعندما برز إليهم فرسان الموحدين انقضوا عليهم فألحقوا بهم هزيمة نكراء، وفر تاشفين إلى قلعة تلمسان ولكن عبد المؤمن تبعه إليها فواصل فراره إلى وهران رفقة أصحابه[4]، ولم يسلم تاشفين بن علي سلطان المرابطين من الموحدين بفراره إلى وهران؛ ذلك أن عبد المؤمن بن علي زحف في جموع الموحدين إلى وهران وحاصر المرابطين فلما رأى تاشفين خطورة الوضع أحرق كل ما في مخابئه من الأمتعة، وخرج هو وأصحابه يحاولون

[1] محمد علي الصلابي، **اعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين**، دار التوزيع والنشر الاسلامي، ط1، مصر، 2003، ص 76-78.
[2] نفسه، ص 82- 86.
[3] **جبال غمارة:** هي جبال بشمال المغرب ومن ضمن جبال الريف، يتواجد بها إحدى قبائل البربر، وهي فرع من المجموعة القبلية الكبرى مصمودة وأغلبها تمتد على الجزء الغربي من جبال الريف، وبين جبال غمارة ومدينة بني تاودا ثلاثة أميال، وأهل غمارة يعبثون بتلك النواحي ويغيرون على جوانبها، ينظر، الإدريسي، المصدر السابق، ص 249.
[4] الأندلسي، المصدر السابق، ص 203-204.

الفرار، فمنهم من قتل ومنهم من دخل البحر، وأما تاشفين فكان يتجول على جواده ليلا فسقط من حافة عالية فتوفي على إثرها وقد عثر عليه الموحدون ميتا في 27 رمضان سنة 539هـ[1]، وقد تم بعث رأسه إلى تينملل وخضع من بقي في وهران الموحدين ومن ثم أصبحت وهران تحت سلطة الموحدين.[2]

وبعد هذه الأحداث السابقة الذكر فإن عبد المؤمن بن علي رأي وجوب عودته إلى تلمسان ومحاولة الاستيلاء عليها نظرا لما تتمتع به من موقع عسكري كما أنها تتميز بالجمع بين الصحراء والريف، فبعد سقوط مدينة وهران ووفاة يوسف بن تاشفين بن علي تغير الوضع الحربي للموحدين فتركوا منطقة الجبال ونزلوا إلى السهول والمدن الكبرى وأخذوا في توجيه الضربات الأخيرة للدولة المرابطية.[3]

وقد بدأت هذه الضربات بأغادير حيث أغلق أهلها أبوابها وتحصنوا بأسوارها وتأهبوا المواجهة الموحدين، وأما الضاحية الحديثة تاغرارت فقد تقدم أهلها إلى الخليفة الموحدي بالطاعة بعد فرار الشخص الذي كان يمثل الدولة المرابطية في الضاحية، فدخلها عبد المؤمن غداة عيد الفطر 15 شوال 540هـ / أفريل 1146م[4]، وبعد أن فرغ عبد المؤمن من تاغرارت اتجه إلى الاستيلاء على أغادير وبعدها إلى تنظيم شؤون تلمسان الموحدية.

ثالثا ـ ضم مدينة فاس:

غادر عبد المؤمن بن علي تلمسان في ربيع الثاني 540هـ / أكتوبر 1145م متجها إلى مدينة فاس بهدف الاستيلاء عليها، خاصة وأنه من بقي من المرابطين من فرسان وخدم بقيادة يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف المعروف بالصحراوي[5]، وقد استعان عبد المؤمن

[1] مجهول، **مفاخر البربر**، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 1996، ص 208- 209.
[2] نفسه، ص208-209.
[3] معمر الهادي، محمد القرقوطي، **جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541-629ه، 1146-1233م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005، ص 62.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 299-300.
[5] **يحيى بن أبي بكر بن علي بن يوسف المعروف بالصحراوي:** هو أحد أتباع تاشفين بن علي بن يوسف ويقال انه ينتمي إلى علي بن يوسف بن تاشفين وأنه ابن أخ تاشفين بن علي فهو يحي بن أبي بكر بن علي بن يوسف فر إلى فاس خوفا من الموحدين أثناء استيلائهم على وهران، ينظر: السلاوي، المصدر السابق، ص 248.

بن علي في اخضاع فاس بجموع الوفود والحشود المجتمعة لديه إذ فاجأه بألف رجل من هسكورة وصنهاجة بقيادة أبي بكر بن الجبر فعبر الموحدون نهر" سبو"[1] وصعدوا جبل زالاغ المشرف على فاس من الشمال، وقد أوقد ابن الجير النيران لترهيب المرابطين مما دفع بالصحراوي للخروج من فاس ومعه أهل المدينة لقتال الموحدين حيث اشتبك الجيشان من الصباح حتى العصر ثم رجع يحي بن أبي بكر الصحراوي إلى فاس في حين بقي الجيش الموحدي في مكانه إلى منتصف الليل والنيران المشتعلة تصاحبهم ثم أدركوا أن عليهم الرجوع إلى عبد المؤمن.[2]

وبعد هذه الأحداث استمر الموحدون في حصارهم لمدينة فاس حوالي9 أشهر[3] دون نتيجة تذكر، هذا ولم ينجح الجيش الموحدي في اخضاع مدينة فاس إلا بعد وقوع الخلاف بين يحي ابن أبي بكر الصحراوي المشرف على الدفاع عن المدينة، وأبي محمد عبد الله بن خيار الحياني والي المدينة، حيث رفض هذا الأخير مطالب يحي بن علي المرابطي الصحراوي التي تمثلت في المال الكثير، مما دفع والي المدينة أبي محمد عبد الله بن خيار الجياني بمساعدة أعيان المدينة إلى الاتصال بقائد الجيش الموحدي الذي كان يحاصر المدينة، وهو أبو بكر بن الجير الذي تركه عبد المؤمن بن علي ينوب عنه في فتح فاس بعد أن اتجه هو إلى مكناس التي استعصى فتحها؛ حيث يؤكد ذلك البيدق بقوله: " فخرج إليهم يدوس ويحوط فقتلهم جميعا... فغضب الخليفة غضبا شديدا ... وخرج إلى مكناسة بعسكره وترك على فاس أبا بكر بن الجبر بمحلته من الموحدين... ".[4]

هذا ولما أعطى أبو بكر بن الجبر الأمان الأهل فاس وعدوه بتسليم المدينة، ولم يدرك يحي بن علي الصحراوي الأمر إلا والموحدون فوق أسوار المدينة، وكان ذلك بتاريخ 14 ذي

[1] **نهر سبو**: نهر عظيم يأتي من نواحي جبل القلعة لابن توالة ويمر حتى يحاذي فاس من جهة شرقيها وعلى ستة أميال منها، ينظر :الإدريسي، المصدر السابق، ص 247.

[2] جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 448هـ/ 1256م إلى 668ه / 1269م**، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2002، ص100.

[3] البيذق، المصدر السابق، ص 114.

[4] نفسه، ص 61-62.

القعدة سنة 540هـ / أفريل 1146م[1]، ومن ثم صارت فاس تحت حكم الموحدين وأما يحي بن علي الصحراوي المرابطي فقد فر إلى طنجة، وصل خبر فتح فاس إلى عبد المؤمن بن علي وهو يحاصر مكناسة مما جعله يسير نحو فاس؛ وعند دخوله إليها أعطى الأمان إلى أهلها وقتل من بقي بها من المرابطين، وقام بهدم سور المدينة وقال عبد المؤمن: " إنما الأسوار سيوفنا وعد لنا".[2]

هذا وبعد أن قضى عبد المؤمن أربعة أيام في تنظيم شؤون مدينة فاس ولى عليها أبا عبد الله محمد بن يحيى الكدميوي والجياني؛ ثم استولى عبد المؤمن على قصبة الرباط التي بناها تاشفين أمير المرابطين، وولى الشيخ عبد الواحد الشرقي على سلا والرباط.[3]

رابعا ـ ضم مدينة مراكش:

واصل عبد المؤمن اخضاعه للبلاد فتحرك باتجاه مراكش آخر معاقل المرابطين وعاصمتهم ونزل بها الموحدون في أول محرم سنة 541هـ، وقد اتخذ عبد المؤمن من جبل إيجليز الواقع غرب مراكش مركزا لقواته، وفي هذه الأثناء كانت مراكش تعج ببقايا الجيوش المرابطية التي كانت تقدر حوالي5500 فارس وعدد لا بأس به من المشاة، والتي خرجت لملاقاة جيش الموحدين، واستمر القتال بين الطرفين حوالي أربعة أيام وفي اليوم الخامس لجأ عبد المؤمن إلى إعداد الكمائن؛ فعند خروج المرابطين للقتال قابلهم عدد قليل من جنود الموحدين، وما كاد يطلع الفجر حتى خرجت كمائن الموحدين وانقضت على المرابطين الذين انهزموا شر هزيمة وغنم الموحدون حوالي ثلاثة آلاف من خيول المرابطين[4]، واستمر الحصار على مراكش حتى لم يعد بإمكان أحد دخولها أو مغادرتها، وكان الجوع قد تمكن من سكانها واستفحل الأمر وفر عدد من الجنود، والتحقوا بصفوف الموحدين؛ ورغم هذا استمر الحصار حوالي تسعة أشهر ونصف.

---

[1] **يحي بن علي المسوفي المعروف بابن غانية**، هو من أبناء علي بن يوسف المسوفي أحد ضباط جيش يوسف بن تاشفين، وقد كان يحيى بن علي المسوفي قائدا عظيما من قادة المرابطين وأكسبهم العديد من الانتصارات في الأندلس، ينظر: عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 203.

[2] الاندلسي، المصدر السابق، ص 137.

[3] حمدي عبد المنعم، محمد حسين، **مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1991، ص18.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 582.

ومن العوامل التي ساعدت الموحدين في عملية الحصار أن أبا إسحاق إبراهيم ابن تاشفين كان صغير السن لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، ولم تكن له دراية بتسيير أمور الدولة بالإضافة إلى شعور العامة بأن انتحار دولة المرابطين أصبح أمرا محتوما خاصة أثناء حصار مراكش حيث توافدت الوفود على الموحدين معلنة الطاعة[1]، وقد قطع الموحدون علاقات المدينة بالخارج، وقد نفذ الزاد ومات الناس جوعا وعندما شعر عبد المؤمن بأن المدينة أصبحت عاجزة عن الدفاع أمر جيشه باقتحامها بالسلاليم وكان دخول المدينة في يوم السبت 18 شوال 541هـ[2]، فأعلن عفوه عن أهل المدينة أما فيما يتعلق بآخر أمراء الدولة المرابطية أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين لجأ إلى قصر الحجر[3] وظل يقاوم دون استسلام إلا أنه ضعف وتم أسره وأخذ إلى عبد المؤمن في محلته بجبل إيجليز، فلما رآه عبد المؤمن أشفق على حاله بعد أن استعطفه أبو إسحاق السلطان الصغير السن فقال عبد المؤمن لأبي الحسن بن واجاج: أترك هؤلاء الصبيان ماذا تعني من وراء قتلهم. لكن أبو الحسن بن واجاج لم يوافقه الرأي وقتله.[4]

بعد مقتل أبو إسحاق إبراهيم زالت الدولة المرابطية وانقرضت، وحلت محلها الدولة الموحدية التي وصفت في بعض المصادر أنها دولة العدل والحق فيقول ابن جبير: "... لا عدل ولاحق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان...".[5]

وبعد أن فتح الموحدون مراكش اتخذوها عاصمة لهم، وكانت تينملل العاصمة الأولى للموحدين وخلال فترة دامت سبع سنوات امتدت من534هـ / 1141م إلى 541هـ /1147م أظهر عبد المؤمن براعة وشجاعة في فن الحرب استطاع من خلالها القضاء على دولة وقيام دولة أخرى مكانها، فعلى الرغم من كل ما قدمه المرابطون من مقاومة فإن الموحدين

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 232.
[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 189.
[3] **قصر الحجر**، القصبة الداخلية وهي قلعة حصينة داخل مراكش ،ينظر، عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص138.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 233.
[5] محمد بن جبير، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، 1980، ص 55.

كانوا هم المنتصرين في أغلب المواجهات حتى انتهت المواجهة بسقوط الدولة المرابطية وقيام الدولة الموحدية.[1]

خامسا- ضم المغرب الاوسط والادنى:

وجد عبد المؤمن انه من الأنسب لدولته أن يسارع في إنقاذ تونس وطرابلس من سيطرة النورمنديين فزحف نحو المغرب الأوسط[2] حيث هاجمت جيوش الموحدين المغرب الأوسط بقيادة عبد المؤمن بن علي في عام 541هـ 1147م واستولى على بجاية[3] بعد أن وضع حدا للحماديين الذين ثاروا في عهد المرابطين واستطاعوا السيطرة على بجاية وفي عام 547هـ 1156م تقابل الموحدون والعرب في ناحية سطيف ظلت الحرب أربعة أيام انتهت بهزيمة العرب.

وفي عام 555هـ قام بفتح المهدية وكذلك استطاع في مدة قصيرة أن يفتح طرابلس وقابس وبلاد الجريد[4]، وأصبح سلطان الموحدين يمتد من برقة حتى تلمسان في المغرب الأقصى وهكذا استطاع عبد المؤمن أن يوطد عرشه بالمغرب بعد أن هزم الخارجين عليه وصارت حدود دولة الموحدين من الشرق إلى ما وراء القيروان وبلغ اتساع دولة الموحدين إلى أبعد مدى[5] واستوثق أمر المغرب لعبد المؤمن بن علي ولم يبق له أي منازع.

اتجه عبد المؤمن بن علي إلى ضم ما بقي للمسلمين في الأندلس إلى دولته[6] وذلك من أجل إزالة ما بقي فيها للمرابطين من سلطان، و تحقيق هدفهم الخاص بإقامة وحدة إسلامية شاملة تحت راية دولة الموحدين شمالا.

---

[1] د عقيلة غناي، المرجع السابق، ص 287.
[2] نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، دار الأمير للثقافة والعلوم، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1415ه/1995م، ص 335.
[3] محمود السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، د.ج، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010م، ص49.
[4] عبد الملك ابن كردبوس، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تح: صلاح بن عبد الله الغامدي، الجامعة العربية الإسلامية، ج1، ط1، المدينة المنورة، 1429ه/2008م، ص38.
[5] نفسه، ص50.
[6] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص437.

خلاصة الفصل

بعد كل الجهود الفكرية و العسكرية التي قام بها المهدي محمد ابن تومرت من أجل نشر دعوته والقضاء على المرابطين واقامة دولة تقوم على تعاليم دينية صحيحة، حمل مسؤولية استكمال مسيرته في تحقيق هدفه بعد وفاته صديقه عبد المؤمن بن علي هذا الذي استطاع تأسيس دولة الموحدين سنة 541هـ ورسم الجهاد وغرسه في قلوب الموحدين في سبيل نصرة الإسلام و فرض حكمه بالقضاء نهائيا على تواجد المرابطين في المغرب و تثبيت دعائم دولته و توسيع نطاقها الجغرافي بتوحيد كل المغرب تحت الحكم الموحدي و اتجه لضم الأندلس وهذا يدل على ذكاءه و شجاعته و حنكته السياسية و القيادية، و ما يتمتع به من حسن تسيير شؤون دولته و رعيته.

الخـاتمـة

شهد المغرب الإسلامي منذ وطئت أرضه أقدام المسلمين ظهور العديد من الدعوات والدول التي لبست ثوب الإسلام، واتخذته شعاراً ظاهراً لتحقيق مطامح اصلاحية ومطامع سياسية تهدف إلى نيل سيادة لدولتهم و تجسيدا لفكرتهم وانتصارا لمنهجهم، وما دعوات المرابطين والموحدين إلا ضرباً لتلك الدعوات والدول على مدار التاريخ الإسلامي.

تعد الدعوة الموحدية لصاحبها والمنظر لها و المؤسس الروحي لدولتها ابو عبد الله بن تومرت المصمودي السوسي من اهم الدعوات و اضخمها والتي القت بظلالها على المغرب الاسلامي قرابة قرن ونصف من الزمن، و التي توجت بسقوط دولة المرابطين و قيام دولة الموحدين والتي مر تأسيسها بمرحلتين اولهما مرحلة الدعوة و تأسيس الدولة بزعامة بن تومرت والمرحلة الثانية فكانت بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي المؤسس العسكري و الذي اتم ما بداؤه استاذه فأتم بناء اسس الدولة بعد ان قضى على ما تبقى من معاقل المرابطين.

عرفت الاشعرية عصرها الذهبي مع قيام دولة الموحدين التي تبنتها كمذهب رسمي، اذ يرجع الفضل الاول في ذلك لابن تومرت الذي حرص بعد عودته من رحلته المشرقية على نشر المذهب الاشعري في الاوساط المغربية، و اتخذ لذلك عدة اساليب منها رفع شعار الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، كما اعتبر ان الاشعرية لن يتسنى لها تنشر الا بالقضاء على الدولة المرابطية المناوؤة لعلم الكلام الاشعري، فاستطاع ذلك ان يجعل المسألة العقدية في صلب صراعه مع المرابطين.

إن ما ساعد ابن تومرت على نشر الاشعرية لدى العامة تفطنه منذ بداية دعوته في فصل آرائه ذات الصبغة المهدوية وخصص لها كتابه " الامامة " اما افكاره ذات الصبغة الاشعرية فقد جعلها مجموعة في رسائل اهمها " المرشدة " تلك الرسالة الوجيزة في العقيدة التي استندت في الكثير من اراءها وقضاياها للمنهجية الاشعرية باعتبارها كانت تعكس اشعرية بن تومرت.

رغم تعدد الاساليب التي اعتمد عليها ابن تومرت لنشر دعوته يتضح ان مسألة انتشار الاشعرية ببلاد المغرب كانت اكبر المسائل التي سعى لتحقيقها، الا انه بالنظر الى حقيقته

يظهر بانه رجل سياسي قبل ان يكون رجل دين، معنى هذا ان الاشعرية لم تكن سوى جزء من مشروعه الاصلاحي.

ان ابن تومرت قد نجح في القضاء على دولة المرابطية سياسيا و مذهبيا، كما نجح في وضع أسس عقيدة دولته و التي ارتبطت بها قوة الدولة الموحدية، فعمل خليفته عبد المؤمن من بعده على إكمال ارساء دعائم الدولة الموحدية بعد ان ارضخ عاصمة المرابطين تحت لواءه اضافة الى ترسيخ العقيدة التومرتية بصفة عامة والاشعرية بصفة خاصة والعمل على تقريرها ونشرها وحفظها وذلك حفاظا على وحدة الدولة.

كان لشخصية ابن تومرت لما تكتسبه من فطنة و حنكة و ذكاء في اختياره للأشخاص والأماكن المناسبة دورا كبيرا في نجاح دعوته التي لم تكن دعوة إصلاحية و حسب بل كان لها بعد سياسي و فكري استطاع من خلاله نشر دعوته وفق مبادئ دينية وروحية و اجتهاده بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، مما أكسبه العديد من الأتباع عرفوا بالموحدين الذين أعدهم لمهمته في القضاء على المرابطين و العمل على تشويه عقيدتهم و اتهامهم بالخروج عن الدين.

كان لابن تومرت مطامع للسلطة و من الذين وظفوا الدين للوصول لمطامع سياسية فرتّب أتباعه في هيئات استشارية منتظمة ومحكمة الأدوار بشكل موازي لدولة المرابطين حتى يتسنى له مجابتهم ومنازعتهم في سلطانهم.

استطاع ابن تومرت إذابة كافة الفوارق والخلافات وتوحيد الصف وتوجيه كافة القدرات في سبيل الوصول ما يصبو اليه والتي تمخضت عن قيام دولة الموحدين فيما بعد.

التأثير الديني لشخصية ابن تومرت كان له انعكاسه في تقبل الناس دعوته من خلال زهده وعلمه ونسبه إضافة إلى محاربته لمظاهر الفساد المتفشية في دولة المرابطين بقوة وحزم، كما كان لفكرة المهدية وادعاء العصمة دورًا كبيراً في نجاح دعوته وكثرة أنصاره.

محمد ابن تومرت من الذين وظفوا الدين للوصول لمطامع سياسية و هو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين حيث اتخذ لقب المهدي المنتظر وتمثل منهجه خليطا من علم

الكلام و المعتزلة و الأشاعرة و الشيعة الأمامية و الخوارج و غيرهم و هو الناشر الفعلي لعقائد الأشعرية، بقوة السلطان، ألف كتب في مجال العقائد بهذا الخصوص.

كان يتميز ابن تومرت بحنكته وميزة تتمثل في عبقرية تنظيمية و منهجية تربوية و أهداف سياسية، سعى بكل الوسائل والأساليب لتحقيقها و مما لاحظناه أنه وجد أرضا خصبة في بلاد المغرب لبث أفكاره و نشر عقيدته قام ابن تومرت بالقضاء على دولة المرابطين من خلال أفكاره التي بثها في وسط أهالي بلاد المغرب، حيث أقنع الأهالي بعقيدته ونشرها وفرض تعليمها باللسانين البربري والعربي.

اعتبار مجموع آرائه في العقيدة وأصول الفقه خليطا لمختلف المذاهب التي جعلها مادة لبناء حركته ونشر تعاليمها

سلك ابن تومرت في دعوته على مسلكين هو مسلك تربوي مبني على العلاقات الاجتماعية ومسلك سياسي ينظم أصحابه وأتباعه وإحكام صلتهم بها ولالتفاف حوله.

اجتماع الدين مع القبيلة كان عاملا قوياً في الإطاحة بأعدائهم المرابطين، وإقامة دولتهم خاصة بعد أن ناضلت هذه القبيلة من أجل نشر فكر ابن تومرت ونصرته، وبذلت كافة إمكانياتها لذلك.

التنظيم الديني والسياسي دل على مدى الذكاء والفطنة التي كان يتمتع بها ابن تومرت واختياره للأشخاص والأماكن المناسبة سببا رئيساً في نجاح دعوته.

وفي الأخير أتمنى أن يكون بحثنا هذا قد أصاب ولو بالقليل من إزالة اللبس عن هذه الحقائق التاريخية المتعلقة بالحركة الدينية لابن تومرت وسيادة دولته، أن يكون هذا العمل في سبيل تحقيق المعرفة العامة لجميع الناس.

الملاحق

<u>ملحق رقم01:</u> باقي طبقات الموحدين [1]

الطبقة الرابعة: الطلبة هم العلماء

الطبقة الخامسة: الحفظة هم صغار الطلبة

الطبقة السادسة: أهل الدار

الطبقة السابعة: قبيلة هرغة

الطبقة الثامنة: أهل تينملل(هم أهل قبائل متعددة)

الطبقة التاسعة: قبيلة جدميوة

الطبقة العاشرة: كنفيسة (جنفيسة)

الطبقة الحادية عشر: هنتاتة

الطبقة الثانية عشر: أهل القبائل الموحدة المختلفة

الطبقة الرابعة عشر: الفرات (هم الأحداث والأميين و العبيد)

[1] عبد الحميد حاجيات، تأسيس دولة الموحدين، مجلة التاريخ ، ص 15.

ملحق رقم02: المرشدة لابن تومرت[1]

بسم الله الرحمان الرحيم

المرشدة(1)

اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسفلي والعرش والكرسي والسماوات والأرض، وما فيهما، وما بينهما، جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذهن ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغنى، وله العزة والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ ولا مكان كون المكان ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يلحقه وهم، ولا يكيفه عقل، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

(1) ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 224.

[1] ابن تومرت، **أعز ما يطلب** ، ص224.

<u>ملحق رقم03:</u> الطريق التي سلكها ابن تومرت من مراكش إلى إيجلي[1]

[1] رشيد بورويبة، **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات، كنوز للنشر والتوزيع، ط1،تلمسان، الجزائر، 1432ه/2001، ص60.

<u>ملحق رقم04:</u> اسوار مراكش وابوابها في عهد المرابطين[1]

1 https://www.minculture.gov.ma - موقع وزارة الشباب و الثقافة والتواصل المغربية، المملكة المغربية، تاريخ الاطلاع 20222/04/26، الساعة 17.

ملحق رقم05:[1] موقع غزوة عبد المؤمن الكبرى

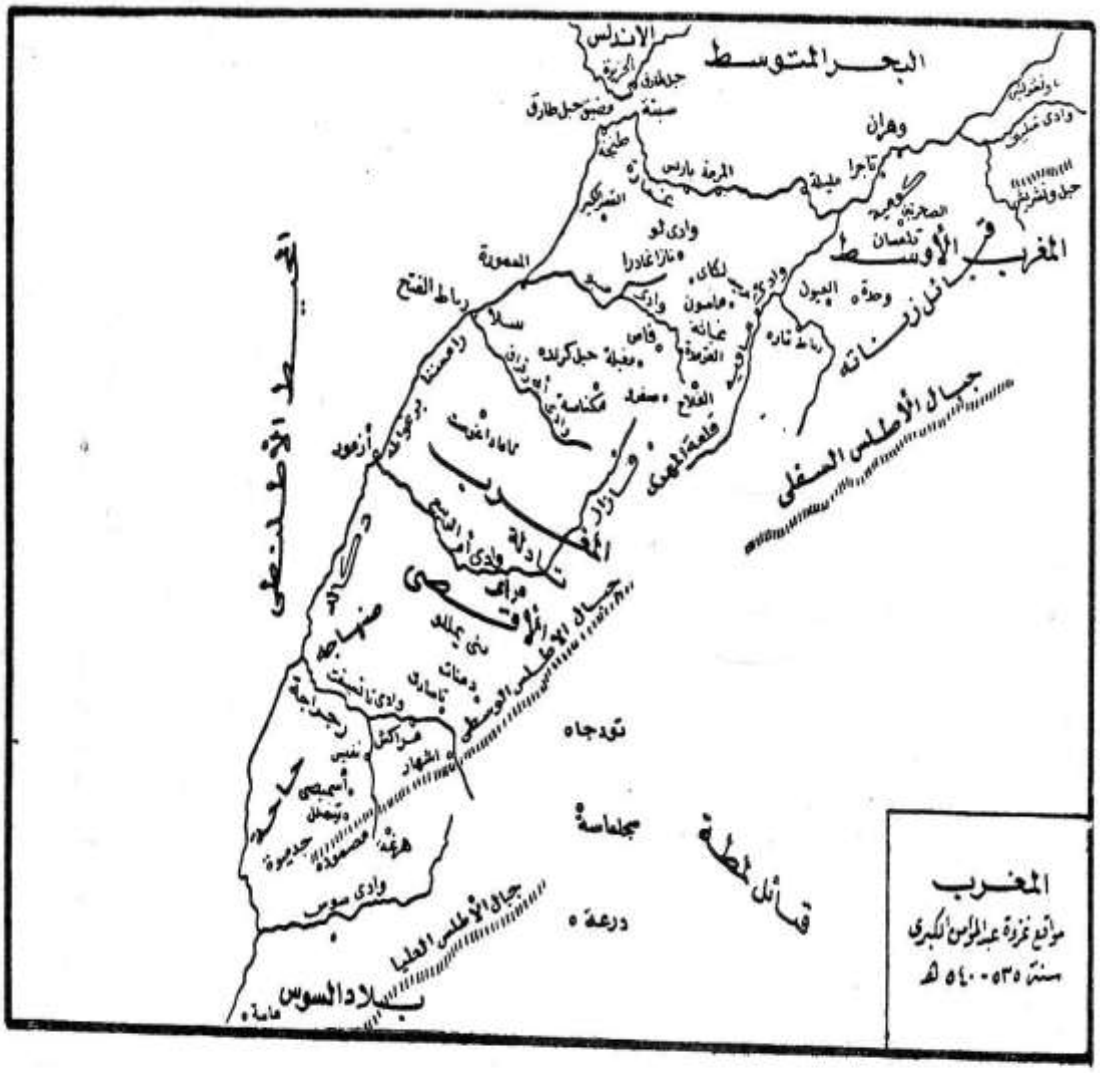

[1] كحلوش نادية، **مصطلحات العمران في مقدمة ابن خلدون**- دراسة مقارنة لترجمتي ويليام ماك دوسلان وفانان مونتاي، مذكرة ماجستير في الترجمة، قسم الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2009/2008، ص112.

ملحق رقم[1]06: البلاد و منازل القبائل عند بداية الدولة الموحدية

1- www.marefa.org

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم:

1- سورة التوبة، الآية 3-12.

2- سورة التكوير، الآية 9.

الكتب:

1- ابن ابي زرع (علي بن عبد الله ت 726 هـ)، تر حياة المهدي، **الانيس المطروب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المعلم الحاج أحمد بن المعلم الحاج الطيب الأزرق، المغرب، 1972.

2- ابن الأثير، (علي بن أبي كرم محمد ت 630 هـ)، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980.

3- ابن الخطيب (ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني لسان الدين ت 776 هـ)، **أعمال الاعلام**، تح: أحمد مختار العبادي و اخرون، دار الكتاب، ج5، الدار البيضاء، المغرب، 1961.

4- ابن الخطيب (ابو عبد الله محمد بن سعيد السلماني لسان الدين ت 776 هـ)، **رقم الحلل في نظم الدول**، مطبعة التقدم الاسلامية، ط1، تونس، 1929.

5- ابن القطان (ابو الحسن علي بن محمد الكتابي الفاسي ت 628 هـ)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح : محمد مكي، دار الغرب الإسلامي ط 2، لبنان، د ت.

6- ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

7- ابن تيمية (ابي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت 728 هـ)، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، تح: د. يحي بن محمد الهنيدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، المملكة العربية السعودية 1426 هـ.

8- ابن تيمية (ابي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ت 728 هـ)، **درء تعارض العقل والنقل**، تح: د محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، ط2، ج4، المملكة العربية السعودية، 1991.

9- ابن خلكان، (أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد ت 681 هـ)، **وفيات الأعيان و أنباء الزمان**، تح إحسان عباس، دار صادر، مج 5، ط6، بيروت، لبنان، 2013.

10- ابن عذارى (ابو العباس احمد بن محمد المراكشي ت بعد 712 هـ)، **البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**، تح : هويسي ميرندا، مكتبة صادر، بيروت، 1950.

11- أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، د د ن.

12- الابي سالم، **ضوابط الامامة في الدين**، دار الايمان، الاسكندرية، مصر، 1987.

13- الأدلبي صلاح الدين بن أحمد، **عقائد الأشاعرة**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م.

14- الأصبهاني (أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ت 406 هـ)، **الحدودي في الأصول الحدود والمواضعات**، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1999.

15- الباجوري ابراهيم، **شرح جوهرة التوحيد**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1422هـ/2002م.

16- بل الفرد، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، تر عبد الرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981.

17- بن رشد أبو الوليد، **فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، تح: محمد عمارة، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر، 1119.

18- بن قنفذ الذهبي، (ابو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب 510هـ)، **مبادئ الدولة الحفصية**، تح: عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

19- بوهلال محمّد، **إسلام المتكلّمين**، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط1، بيروت، لبنان، 2006.

20- رشيد بورويبة، **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات، كنوز للنشر والتوزيع، ط1،تلمسان، الجزائر، 1432هـ/2001.

21- البيدق (أبوبكر بن علي الصنهاجي ت اواسط القرن 6هـ)، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 2004.

22- البيدق، **المقتبس من الأنساب في معرفة الأصحاب، في صدر الكتاب أخبار المهدي**، ، ليفي بروفنسال، ط2، بولس، باريس، 1928.

23- تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي، **دفع شبه من شبه وتمرد**، تح، الإمام محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، د ت.

24- جان ليون الإفريقي المعروف بالحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، تر عبد الرحمن حميدة وراجعه علي عبد الواحد، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت لبنان، 1983 .

25- الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

26- جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين 448هـ/ 1256م إلى 668هـ / 1269م، دراسة سياسية وحضارية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2002.

27- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين- صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1996.

28- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخايفي، ط1، القاهرة، مصر، 1980.

29- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.

30- حمدي عبد المنعم، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر، 1997.

31- حمدي عبد المنعم، محمد حسين، **مدينة سلا في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1991.

32- خالد زهري، **مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة**، ضمن كتاب: جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، لمجموعة باحثين، تنسيق: جمال علاء البختي، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، المغرب، 2012.

33- خليل إبراهيم السامرائي اخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، ط1، د ت.

34- دندش عبد اللطيف عصمت، **الأندلس في نهاية المرابطين ومشمل الموحدين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

35- رشيد بورويبة، **ابن تومرت**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

36- زبيب نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، دار الأمير للثقافة والعلوم، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995.

37- الزبيدي مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية، ج10، القاهرة، مصر، 1306-1307هـ.

38- الزركشي، (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ت 794 هـ)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، بدون سنة.

39- السبكي تاج الدين، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود محمد الطناحي- عبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، ج4، القاهرة، مصر، 1918.

40- سحر السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ بطليموس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، ج2، الإسكندرية، 2002.

41- سعد زغلول عبد الحميد، **محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس**، جامعة بيروت العربية، بيروت، 1973.

42- سعدييف آرثور، توفيق سلّوم، **الفلسفة العربيّة الإسلامية**، دار الفارابي، ط1، بيروت، 2000.

43- السلاوي (أبو العباس أحمد الناصري شهاب الدين ت 778هـ)، **الاستقصاء بأخبار المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، ج1، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

44- السنان حمد، العنجري فوزي، **أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم**، دار الضياء، الكويت، 2001.

45- سوادي محمد، صالح عمار الحاج، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري، القاهرة، 2004.

46- السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير- العصر الاسلامي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987

47- الشريف الإدريسي (ت 493 هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، مج1، ط1، بيروت، لبنان، 2002.

48- شمس الدين أبو عبد الله (محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز ت 748هـ)، **العرش**، تح :محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط2، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2003.

49- الشنقيطي حمد الخضر، **استحالة المعيّة بالذات وما يضاهيها من متشابه الصفات**، دار البصائر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008.

50- الشهرستاني(ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548)، **الملل والنحل**، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، 2008.

51- صافي لؤي، **العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1996.

52- الصلابي علي محمد، **صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي**، دار الإيمان، ج2، الإسكندرية، 2003.

53- الصلابي علي محمد، **اعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين**، دار التوزيع والنشر الاسلامي، ط1، مصر، 2003

54- الطويل السيد رزق، **العقيدة في الإسلام منهج حياة**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1981.

55- العبادي أحمد مختار، **دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ت.

56- عبد الباقي المواهبي الحنبلي، **العين و الأثر في عقائد أهل الأثر**، مح: عصام رواس قلعجي، دمشق، سوريا، 1987.

57- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت 808هـ)، **تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، ج 6، لبنان، 2000.

58- عبد الرحمن سالم، **التّاريخ السّياسي للمعتزلة**، رؤية للنشر والتّوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2013.

59- عبد القادر محمد الحسين، **إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري**، دار المشرق للكتاب، ط1، دمشق، سوريا، 2010.

60- عبد الله بن عبد الحميد الأثري، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.

61- عبد الملك ابن كردبوس، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تح، صلاح بن عبد الله الغامدي، الجامعة العربية الإسلامية، ج1، ط1، المدينة المنورة، 1429هـ/2008م.

62- العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2009.

63- عز الدين عمرو موسى، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، د.ج ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

64- علام عبد الله علي، **تاريخ الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

65- عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القسم الأول، العصر الثالث، ط2، القاهرة، 1990.

66- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت 505 هـ)، **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1964.

67- الغناي عقيلة، **قيام دولة المرابطين**، جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، ليبيا، 2008.

68- فودة سعيد، **الفرق العظيم بين التنزيه والتجسيم ويليه المقتطف في نقد التحف**، دار الرازي، الطبعة الأولى، عمّان، الأردن، 2004.

69- كاتب أندلسي (ت 754 هـ)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح د. سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 1978.

70- كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1961.

71- لسان الدين ابن الخطيب(776 هـ)، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، د.ج، د.ط، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1961.

72- اللقاني برهان الدين ابراهيم بن حسن، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، صححه عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م.

73- لنتورنو روجي، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12و13**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس–ليبيا، 1982.

74- ليفي بروفنسال، **الاسلام في المغرب و الاندلس**، تر: السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صلاح حلمي، مطبعة نهضة، الاسكندرية، مصر، 1990.

75- محمود السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، د.ج، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010.

76- المراكشي (عبد الواحد بن علي ت 647 هـ)، **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: السعيد العريان ومحمد العلمي، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ط1، القاهرة، مصر، 1963.

77- المراكشي عبد الواحد، **وثائق المرابطين و الموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، مصر، 1997.

78- مصطفى صبري، **موقف البشر تحت سلطان القدر**، دار البصائر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2008.

79- معمر الهادي، محمد القرقوطي، **جهاد الموحدين في بلاد الأندلس (541-629هـ، 1146-1233م)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005.

80- مغزاوي مصطفى، **البعد السياسي في انتشار المذهب الاشعري في المشرق الاسلامي و مغربه**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

81- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصاء للأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية و الموحدية)**، تح: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، ج2، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

82- النجار عبد المجيد، **المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه و ثورته الفكرية و الاجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1983.

83- النجار عبد المجيد، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)**، منشورات المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا، 1995.

84- نعيم يوسف، **أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع**، دار المنار، المنصورة، مصر، 2001.

مذكرات الماجستير والرسائل:

85- بلغيث محمد الأمين، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، جزأن، (اطروحة دكتوراه دولة منشورة)، اشرف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003-2004.

86- غرادين مغنية، **الحركات المناوئة لحكم الموحدين في الأندلس والمغرب**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة تلمسان، الجزائر، 2009-2010.

87- مجهول، **مفاخر البربر**، دراسة وتح: عبد القادر بوباية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 1996.

88- كحلوش نادية، **مصطلحات العمران في مقدمة ابن خلدون- دراسة مقارنة** لترجمتي ويليام ماك دوسلان وفانان مونتاي، مذكرة ماجستير في الترجمة، قسم الترجمة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2009/2008.

المجلات والدوريات:

89- زقزوق محمود حمدي، العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، مطبوعات مجلة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، 2002.

90- عبد الله ابراهيم، **الدعاية الموحدية**، مجلة رسالة المغرب، العدد1، المغرب، 1943.

91- محمد الأمين بوحلوفة و بوركبة محمد، **السلطة و قبائل البربر و إسهامها في حفظ الفكر الأشعري في المغرب الاوسط** ، مجلة الحضارة الاسلامية، العدد 27، الجزائر، 2015.